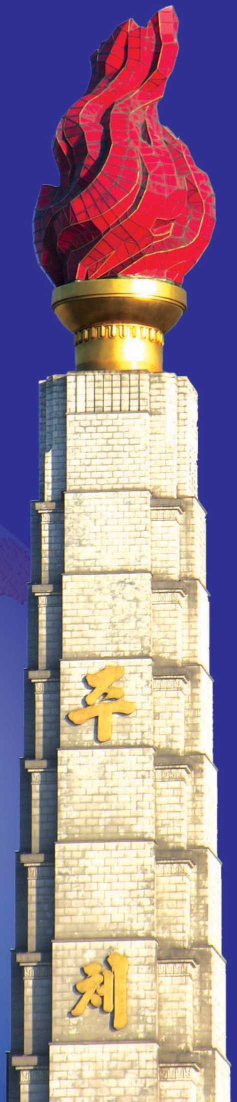
تفسير مبادئ فكرة زوتشيه ـ ١

نظرة فكرة زوتشيه إلى العالم





تفسير مبادئ فكرة زوتشيه ـ ١

نظرة فكرة زوتشيه إلى العالم

دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
١٠٨ زوتشيه (٢٠١٩)

مقدمة

تاريخ البشرية هو تاريخ الأفكار. أبدع الإنسان مختلف الأفكار منذ بداية ظهوره إلى الوجود، وفي ضوئها، بدأ يصنع مصيره عبر التاريخ.

كان تاريخ مصيره هذا مليئا بالعذابات والآلام الكثيرة، نظرا لأن الأفكار المتنوعة المتوارثة عن آلاف السنين لم تكن تشير إلا إلى مصير الإنسان المحتوم المكبل بقيود العبودية ونير الإقطاعية وأغلال الرأسمال. طبعا إن ظهور الماركسية كان إحدى نقاط تحول، لكنها اقتصرت على تحطيم قيود الرأسمال وإغلاق باب القضاء والقدر، ولم تفتح باب صنع المصير الحقيقي.

فقد كانت البشرية تهيم على وجوهها بحثا عن فكر ينير طريق تقدمها لصنع مصيرها الحقيقي، وبصيص ضوء مصيرها.

في أوائل القرن العشرين، وقع على البشرية نور الشمس لإنقاذها، الذي طالما لم تجده لقرون طويلة رغم تلك المساعي الدؤوبة، إذ خرجت إلى حيز الوجود فكرة زوتشيه التي تضع حدا لتاريخ مصير الإنسان الملطخ بالخنوع والعذاب، وتوضح مصيره المستقل.

كان ذلك ولادة تاريخ جديد، بداية تاريخ مؤثر يعيش فيه الإنسان متمتعا بالكرامة والفخر لأول مرة في تاريخه العائد إلى مليون سنة، وانطلاق عصر جديد للاستقلالية والإبداع تصبح فيه الشعوب سيدا للتاريخ بعد أن كانت تداس بالأقدام ومضطهدة بلا رحمة.

فكرة زوتشيه هي فكرة احترام الإنسان وفلسفة الاستقلالية التامة.

بعد أن فسرت هذه الفكرة تفسيرا علميا أن الإنسان هو كائن اجتماعي ذو استقلالية وإبداعية ووعي، أوضحت حقيقة مطلقة مفادها أن الإنسان هو نفسه سيد مصيره ولديه قوة صنع مصيره أيضا.

إن في مركز فكرة زوتشيه الشعب، نظرا لأنها اتخذت الشعب كأثمن وأقوى كائن وذات فاعلة للتاريخ، لأول مرة في تاريخ أفكار البشرية، وأعطت إيضاحا متكاملا للملامح الحقيقية للحركة التاريخية الاجتماعية المستقلة والخلاقة والواعية التي يقوم بها ذلك الشعب.

المبدأ الهادي لبناء المجتمع الجديد، الذي أوضحته فكرة زوتشيه هو الالتزام بالموقف المستقل وتجسيد الطريقة الخلاقة وحل كل المسائل بإعلاء دور الوعي الفكري. يأتي هذا المبدأ بتحويل وتطوير الطبيعة والمجتمع والإنسان بما يتلاءم مع طبيعة الإنسان الاجتماعي، والتطور والازدهار المستقل للبلاد والأمة.

لكل بلد من البلدان ولكل أمة من الأمم نظام اجتماعي وأسلوب حياة مختلفان. لكن التاريخ اختبر، كما أن الواقع يبيّن أن فكرة زوتشيه هي بوصلة صائبة تشير إلى الاتجاه المستقيم نحو المستقبل.

تبزغ الشمس في الشرق. فقد طلعت في كوريا الواقعة بالشرق الشمس التي أنارت البشرية بأضواء زوتشيه، التي لم يستطع أي مفكر أو أي رجل عظيم أن يمنحها لها عبر قرون طويلة.

ذلك أن الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ عرض فكرة زوتشيه ليس من أجل الشعب الكوري وحده، بل لأجل البشرية جمعاء.

كما أن القائد العظيم كيم جونغ إيل الذي حمل على عاتقه رسالة تاريخية لمواصلة قضية الرئيس كيم إيل سونغ، أنمى فكرة زوتشيه حتى تغدو بمثابة غابة كثيفة، بعد أن نثر الرئيس كيم إيل سونغ

بذورها في التربة المسماة بالشعب ورباها.

الفكر العظيم ينجب ممارسات عظيمة.

حققت فكرة زوتشيه معجزات نادرة لم تتمكن البشرية من تحقيقها مع توقها الشديد إليها لآلاف السنين، وذلك في فترة قصيرة من الزمن تقل عن قرن واحد فقط منذ ظهورها.

وعلى ذلك، فتح تاريخ جديد للنور والآمال والسيادة والاستقلال، بعد أن احترقت أسباب الظلام واليأس والسيطرة والاستعباد التي كانت تظلم الناس لسنوات طويلة. تكمن عظمة فكرة زوتشيه في صنع وقيادة التاريخ الجديد، العصر الجديد الذي يتقدم بالاعتماد على قوة الشعوب بعد استنهاضها وهي التي كانت عرضة للاضطهاد لقرون طويلة.

واليوم، تزداد فكرة زوتشيه تعمقا وتطورا بما يتلاءم مع متطلبات العصر، بفضل قيادة القائد الأعلى المحترم كيم جونغ وون.

لوجوده ما فتئت فكرة زوتشيه تقود البشرية على طريق الاستقلالية دونما تغيير.

يعيش الآن على الكرة الأرضية ما ينوف على سبعة مليارات نسمة من الناس.

رغم أن الأفكار والمعتقدات الدينية والنظام الاجتماعي والثقافة تختلف من بلد لآخر ومن أمة لأخرى، لكن الشعوب تملك نزوعا واحدا إلى المصير الصادق والاهتداء بالفكر العظيم.

نرجو أن يحيط هذا الكتاب عددا كبيرا من المؤمنين بفكرة زوتشيه والبشرية التقدمية في العالم علما واضحا بالحقائق العميقة لهذه الفكرة، ويبث في نفوسهم ثقة وأملا للمستقبل النير.

فهرس

١ـ المصير ووجهة النظر حول العالم

دعونا أن نتناول، أولا، وجهة النظر المتمحورة على الإنسان حول العالم، التي توضحها فكرة زوتشيه.

تتألف فكرة زوتشيه من وجهة النظر حول العالم، والنظرة إلى التاريخ الاجتماعي، والمبادئ الهادية والتي تتخذ الإنسان محورا لها.

يمكن اعتبار أن وجهة النظر المتمحورة على الإنسان حول العالم تحتل مكانة محورية وأساسية فيما ذكر آنفا.

كما يكون لكل أمر تراتيبه، لا بد أولا من إدراك وجهة النظر المتمحورة على الإنسان حول العالم، بغية فهم الحقائق العميقة لفكرة زوتشيه.

قد يفكر بعض الناس أن الإنسان يمكنه أن يعيش حتى من دون المعرفة بوجهة النظر حول العالم، ويكون ثمة كثير من المعارف اللازمة وذات الصلة المباشرة بالحياة، فلا حاجة إلى بحث وجهة النظر حول العالم في ملل. من هذا التفكير، قد يسرعون إلى غلق هذا الكتاب. ولكن فكروا لحظة فيما يلي:

إن لكل شخص وجهة نظره حول العالم. تفكير أي شخص في حياته يعني بحد ذاته امتلاكه نظرة معينة إلى العالم. يحتاج الإنسان إلى خيرات مادية لازمة للأكل واللبس والسكن، إذا أراد أن يعيش ويحافظ على حياته الجسدية. بمثل ذلك، يتعين عليه أن يملك نظرة عامة صائبة إلى العالم، إذا أراد أن يعيش حياة صادقة.

إن وجهة النظر المتمحورة على الإنسان حول العالم تقدم المبدأ الذي

يوضح مَنْ هو مسيطر على مصير الإنسان وصانعه، والرأي في خصائص الإنسان الجوهرية، والرأي ووجهة النظر والموقف من العالم، التي اتضحت بالارتكاز على الإنسان.

إذن، فلنتطرق بالتفصيل إلى ما هي وجهة النظر حول العالم، وما هي وجهة النظر المتمحورة على الإنسان حول العالم، التي تبيّن سبيلا إلى الحياة الحقيقية.

١) منارة في حياة الإنسان

منذ انطلاق البشر إلى البحار، ظهرت المنارة إلى حيز الوجود كعنصر ضروري لملاحة السفن، لا بل كأهم عنصر من العناصر التي تنير طريق المراكب.

إذا جاز التشبيه بوجهة النظر حول العالم، يمكن مقارنتها بالمنارة التي تشير إلى موقعها بواسطة هيئة برجها ولونها في النهار، وضوئها المنير في الليل، وإشارة الموجات الالكترونية اللاسلكية والإشارة الصوتية في أوقات الضباب. إن وجهة النظر الصائبة حول العالم هي بمثابة منارة في حياة الإنسان تضيء طريقا قويما للحياة الحقيقية.

إذن، ما هي وجهة النظر حول العالم؟

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل ما يلي:

"وجهة النظر حول العالم تعني نوعية نظرة الإنسان إلى العالم ونوعية موقفه من التعامل معه."

لكل شخص وجهة نظره المعينة حول العالم.

وجهة النظر حول العالم هي رأي في العالم ككل ونظرة إليه وموقف

منه، وتنقسم إلى وجهة النظر الدينية حول العالم ووجهة النظر الفلسفية حول العالم. فيما إذا كانت الأولى قائمة على المعتقدات الدينية، فإن الأخيرة تم تنظيمها منهاجيا بصورة منطقية.

فلنتحدث عن تفاصيل المفهوم عن وجهة النظر حول العالم.

يعيش المرء كائنا من كان على صلة بالعالم، أي بالطبيعة والمجتمع، وبالتالي لا يستطيع تجاهل ما يدور حوله، بل إنه يصار إلى التفكير حتما في شيء ما بصدد مختلف الظواهر التي تحدث في الطبيعة والمجتمع.

فلنأخذ "العولمة" مثلا.

في جهة ما، تصدر إعلانات صاخبة عنها، وفي الجهة الأخرى، تتعالى الأصوات التي تعارضها وتقلق على عواقبها. يملك حتى الأفراد، فضلا عن الحكومات والمنظمات المتنوعة في كل البلدان، رأيا ما من الآراء في هذه "العولمة".

ولكن إذا نظرنا إلى كل الآراء والمواقف التي يرى ويعامل الناس بها الأشياء والظواهر الفردية في العالم، نجد فيها أي نوع من النقاط المشتركة. كان الناس البدائيون يرون الشمس كشيء غامض، وكذلك يستغربون البرق والرعد أيضا فقد ابتهلوا إلى الكائن الغيبي تخليصهم من الكوارث الناجمة عنها.

من هنا، يمكننا أن نعرف إحدى النقاط المشتركة، أي وجود رأي وموقف أكثر عمومية يعتبران كل الأشياء والظواهر غريبة. وبعبارة أخرى، كان الناس يملكون رأيا وموقفا أكثر عمومية ينظرون بهما نظرة شاملة إلى العالم وهو محصلة الأشياء والظواهر، ويرتبط بهما كل من المواقف والآراء التي ترى الأشياء والظواهر الفردية.

ذلك لأن الأشياء والظواهر في الطبيعة والمجتمع لا ينعزل كل منها

عن الآخر، بل إنها ترتبط بعضها ببعض وتشكل كيانا موحدا واحدا. بالطبع، تتواجد الأشياء والظواهر الفردية، ويتواجد بالفعل العالم الذي يشمل كلها في منظومة متكاملة.

مثلا إن شجرة الصنوبر كناية عن شيء فردي، لكنها لا توجد منعزلة عن غيرها، بل إنها تبقى مرتبطة بالأشجار الأخرى والعناصر الأخرى في الطبيعة والمجتمع، وأبعد من ذلك، تتوحد كل العناصر الطبيعية والاجتماعية في كيان واحد، حتى تشكل عالمنا نحن.

ولكن، بما أن إدراك الإنسان هو ما يعكس العالم الواقعي، فإن الإنسان يملك حتما رأيا وموقفا أكثر عمومية، يرى ويعامل بهما العالم على نحو شامل، فضلا عن الآراء والمواقف الحسية من الأشياء والظواهر الفردية.

هذه هي بالذات نظرة عامة إلى العالم. بتعبير أدق، فهي مجموع الأجوبة عن المسائل: كيف يتشكل العالم الشمولي، وكيف يتغير ويتطور، وأي كائن هو الإنسان، وما هي مكانته ودوره في العالم، وأي نظرة وموقف ضروريان في ممارسة النشاط مع العالم.

إذن، كيف توضح وجهة النظر حول العالم الطريق القويم للحياة، طريق صنع المصير؟

أصلا إن التقدم في حياة الإنسان وفي صنع مصيره لا يمكن تصوره بعيدا عن الفهم الصائب للطبيعة والمجتمع.

فيما يلي الأمر الذي حدث في اليونان القديمة المعروفة بمنبع الفلسفة الغربية على ما يقال.

حين كان الفيلسوف طاليس (القرن السابع - القرن السادس ق.م) الذي قال "إن الماء هو المبدأ الأساسي لكل شيء"، منهمكا في

استقصــاء العلــوم، ظهــر بــين النــاس مــن يســخرون منــه أو يحســدونه. وبخصوص عيشه في إملاق، هزأ أحد التجار منه قائلا: "إن الكثير من الناس يقولون إنك فيلسوف صاحب المعارف الهائلة. إذن، ماذا تجلب تلك المعارف إليك، مالا أم خبزا؟" رد عليه طاليس: "يبدو أنك تسخر من المعارف لكوني فقيرا. لنر النتيجة في فترة لاحقة."

قدر طاليس، بناء على معارفه الفلكية والرياضية والزراعية الوافرة، أن العام القادم سيشهد حصادا وفيرا في زراعة الزيتون، واشترى كل ما في المدينة المسورة من عصارات زيت الزيتون، بثمن جد رخيص. حين أقبل موسم الحصاد، تم جني محصولات وفيرة من الزيتون لم يكن مثيل لها في السنوات السابقة، مثلما توقع هو، بحيث صار الناس وقد انتابهم قلق وحيرة من ذلك، يتوافدون متسابقين إلى بيته لشراء عصارات زيت الزيتون. لذا فقد استطاع أن يكسب أموالا هائلة لقاء بيعها بثمن أغلى من الأصل ويبيّن للناس بالوقائع كم تكون قدرة المعارف عظيمة.

إن المعرفة نور وقوة غير محدودة. إذا أردنا أن نحصل من الطبيعة على ما يلزم لحياتنا، من خلال نشاطاتنا الاجتماعية، فمن واجبنا أن نعرف الطبيعة والمجتمع. لكل من الأشياء والظواهر في هذه الدنيا خصائصه الأصيلة، ويتغير ويتطور حسب قوانينه. ومن دون المعرفة بذلك، لا يمكن كسب حبة واحدة من الحبوب الغذائية، ولا قطعة واحدة من الخيوط، ولا غرام واحد من الفحم، ولا استعمالها كما ينبغي.

أهم شيء هنا وجهة النظر حول العالم. يبدو لأول وهلة أنها بعيدة عن نشاطات الناس اليومية والحسية، نظرا لخاصيتها العمومية. ولكن هذا ليس كذلك إطلاقا.

إذ أن وجهة النظر حول العالم تحدد موقف الناس وسلوكهم في

معاملة الواقع، وتقيّد تفكيرهم وأفعالهم.

لنفترض، مثلا، أن أحد الناس يقول إن الأمر يكفيه بمجرد العيش في بحبوحة على الطعام الجيد، وليس لديه شيء مرجو آخر غير ذلك. هذا تعبير عن الرأي الحسي في هدف الحياة. في قاع هذا الرأي بالذات، تكمن وجهة النظر حول العالم، التي لا ترى الإنسان إلا مجرد كائن بيولوجي.

في "قصة آه كيو الحقيقية" من أعمال الكاتب الصيني لوشيون، نرى أن آه كيو "يخضع" دائما "أعداءه" بالروح. حين تعرض للضرب من الآخر، تهلل كما لو أنه انتصر عليه، قائلا "إن هذا أشبه ما يكون بتعرضي للضرب من إبني. يا لها من الفوضى في العالم الحالي". وحتى حين تعرض لانتزاع النقود التي كسبها في القمار، فضلا عن معاناة الضرب، صفع بنفسه خده بقوة، وبعده، أخلد إلى النوم براحة البال لابتهاجه بالانتقام من ذلك. "طريقة الانتصار الروحي" المزعومة التي يتميز بها آه كيو هي، في آخر تحليل، تفكير وسلوك ذاتي قائل بأن النعماء والبأساء تتوقفان على كيفية التفكير. يمكننا أن نعرف أن ذلك يقوم على وجهة النظر المثالية الذاتية حول العالم، التي ترى العالم نتاجا عن وعي الناس.

هكذا، تقيد وجهة النظر حول العالم تفكير الناس وسلوكهم، مهما كان عملهم وفي أي مكان يعملون، أي أن الناس يرون ويقدرون أي شيء ويمارسون نشاطاتهم العملية، على أساس وجهة نظرهم حول العالم.

إذن، لماذا توضع وجهة نظر الناس حول العالم على أساس تفكيرهم وسلوكهم، وتقيدهما؟

إن لجميع الأشياء والظواهر في العالم خصائصها وجوانبها الأصيلة، ومع ذلك، تتواجد في ظل ارتباطها الأكثر عمومية وجوهرية، الذي يتخلل تلك الخصائص والجوانب، ومن جراء هذا الارتباط، يجري تقييد قوانين

واتجاهات تطور كل من الأشياء والظواهر وجوانبها، أي أن تغير حركات الأشياء والظواهر الفردية يتشكل على أساس القوانين الأكثر عمومية التي تتخلل العالم ككل.

ولكن كما ذكرنا آنفا، بما أن إدراك الإنسان هو ما يعكس ذلك العالم الواقعي، فإن حل كل المسائل الفردية والحسية الناشئة في نشاطات الإنسان لإدراك العالم وتحويله يقوم دائما على كيفية إرساء الرأي والنظرة والموقف الأكثر عمومية من العالم أجمع. وبعبارة أخرى، يمارس الناس نشاطاتهم بعد تحديد هدف واتجاه كل أنواع تفكيرهم وسلوكهم الآخر ومضمونهما الأساسي، على أساس وجهة نظرهم حول العالم.

وخصوصا، بما أن وجهة النظر حول العالم هي وعي فكري يتضمن مطالب الإنسان ومصالحه، يتغير هدف واتجاه تفكيره ونشاطاته الواقعية تغيرا تاما، حسب نوعية وجهة نظره حول العالم. فإن مَنْ يملك وجهة النظر التقدمية حول العالم يفكر ويعمل من أجل جماهير الشعب ولأجل تطور المجتمع، أما مَنْ يملك وجهة النظر الرجعية حول العالم فهو يفكر ويعمل باتجاه التطاول على مصالح جماهير الشعب من أجل مصالح الطبقة الاستغلالية، وعرقلة تطور المجتمع.

باختصار، إن كل إمرؤ، كائنا من كان، يملك هذا النوع أو ذاك من النظرة العامة إلى العالم، بغض النظر عن صحته العلمية ومستواه، وعلى أساسه، يقوم بكل أنواع تفكيره ونشاطه.

كل الأفكار التقدمية والمعارف العلمية تساهم في حل مسألة مصير الإنسان، لكن العلوم الفردية لا تعطي إيضاحا شموليا ومتكاملا لمسألة مصيره، وبالتالي لا يمكن القول إنها تنير طريقة صنع مصيره.

كل العلوم الأخرى ما عدا الفلسفة تتخذ أحد أجزاء أو جوانب أو

مسارات الطبيعة والمجتمع كموضوع أبحاثها، وتوضح ما يفعل فعلته فيها من الارتباطات الحتمية والقوانين، وبذلك، تساهم في صنع مصير الناس.

لكن الفلسفة، بخلاف العلوم الفردية الأخرى، تتخذ العالم الشمولي كموضوع أبحاثها، وتعمل على تفسير طبيعة العالم وقوانين تغيره وتطوره.

ومن جهة أخرى، لا تكمن رسالة الفلسفة في مجرد تفسير العالم فقط، بل في تحويل العالم وتغييره، وجعل الناس يملكون وجهة النظر الصائبة حول العالم ويصنعون مصيرهم بنجاح.

والخلاصة فإن الإنسان يصنع مصيره عن طريق تحويل العالم وتغييره، وإذا أراد أن يصنع مصيره بنجاح، فمن واجبه أن يملك وجهة النظر الفلسفية الصائبة حول العالم وهي سلاح لتحويل العالم وتغييره.

إذن، ما هي وجهة النظر حول العالم، التي تتيح للإنسان أن يحدد بصواب هدف واتجاه حياته، ويتقدم بخطى حثيثة من أجل حياته الحقيقية؟

٢) وجهة النظر حول العالم، الهادفة إلى الحياة الحقيقية

في قصر الفاتيكان بروما، يمكنك أن ترى الجدرانية الشهيرة "مدرسة أثينا" بريشة الرسام الإيطالي رافائيل (القرن الخامس عشر- القرن السادس عشر).

هذا الرسم الذي يتناول الفلسفة (إن الفلسفة ما هي إلا علم يعطي نظرة عامة إلى العالم)، يصور أكثر من خمسين عالما من العلماء الذين عاشوا في مختلف الفترات التاريخية، بمن فيهم فلاسفة أثينا في القرن

الرابع قبل الميلاد. وفي صدارتهم، أفلاطون الذي يشير إلى السماء برفع يده اليمنى، وأرسطو الذي يشير إلى الأرض.

هذا الرسم الذي تم تأليفه في أوائل القرن السادس عشر يعرّفنا على أنواع النظرات العامة إلى العالم، التي كانت قائمة عبر التاريخ. صورة أفلاطون الذي يشير إلى السماء برفع يده اليمنى، ترمز إلى وجهة النظر المثالية حول العالم، وصورة أرسطو الذي يشير إلى الأرض، ترمز إلى وجهة النظر المادية حول العالم.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل ما يلي:

"فقد كان تاريخ تطور التصور عن العالم في الماضي تاريخا للنضال بين الفكرتين الفلسفيتين المتناقضتين، أي بين المادية والمثالية وبين الجدلية والميتافيزية."

في تاريخ أفكار البشرية من أقدم العصور إلى يومنا هذا، ظهر إلى الوجود مختلف أنواع النظرات العامة إلى العالم بأعداد كبيرة (هذا هو بالذات أحد الأمثلة على مدى أهمية وجهة النظر حول العالم بالنسبة للإنسان)، ويمكن تقسيمها أساسا إلى نظرة مثالية ونظرة مادية إلى العالم.

النظرة المثالية إلى العالم تقول بأن العالم هو نتاج عن الكائن الروحي غير الإنسان مثل "الفكرة المطلقة" أو "الرب" أو عن الوعي الذاتي للناس.

مثلا، قال أفلاطون إن "عالم الأفكار" الذي لا يتغير إلى الأبد يوجد في مكان ما، وإن العالم الواقعي لا يكون أكثر من ظله.

تأكد بطلان هذه النظرة إلى العالم بوضوح اليوم الذي يشهد تطور العلوم، ولا مجال للجدال أن الإنسان لا يستطيع بواسطتها أن يرى العالم المحيط به على نحو سليم، ولا يصنع مصيره كما ينبغي.

ما هي وجهة النظر المادية حول العالم؟

تقول المادية بأن العالم مؤلف من المادة، وبأن الوعي هو انعكاس المادة على عقول الناس.

طبعا، إن المادية لم تكن نوعا واحدا، بل وتطورت عبر التاريخ من المادية البسيطة في العصر القديم إلى المادية الميتافيزية في العصر الحديث (الميتافيزيقا هي شعبة من الفلسفة تقول بأن جميع الأشياء في العالم ثابتة لا تتغير)، ومن بعد، إلى المادية الجدلية الماركسية (الجدلية هي شعبة من الفلسفة تقول بأن كل الأشياء في العالم تتحرك وتتغير باستمرار).

أدت المادية بما هي شيء حدسي وتجريبي دورا تقدميا إلى حد ما في صنع مصير الناس منذ أقدم العصور إلى العصر الحديث، لكنها لم تكن تطرد وجهة النظر المثالية حول العالم من الحقل الفكري وابعد من ذلك، من كل ميادين الحياة الاجتماعية.

وفي العصور الوسطى خاصة، كان الدين يسيطر على جميع الأشياء، بحيث يستولى على روح الناس ويتلاعب بحياتهم مبشرا بأن مصيرهم مكتوب عليه ولذا فقد باتت كل الآراء المتناقضة مع المعتقدات الدينية موضع القمع القاسي.

في عام ١٥٩٢، اعتقلت الكنيسة الكاثوليكية العالم الإيطالي جيوردانو برونو بتهمة كونه المؤيد الإيجابي لنظرية كوبرنيك عن دوران الكرة الأرضية على ذاتها وحول الشمس، وتعرض للمعاملة الجائرة خلال ما يقرب من ثماني سنوات، وأحرق في النهاية من قبل محكمة التفتيش.

بعد مضي ٢٠٠ سنة من ذلك الحين، أقام الناس النصب إحياء لذكراه، ونقشوا عليه العبارات التالية:

"... من ذلك العصر الذي استبصره، في ذلك المكان الذي أعدم فيه حرقا."

أخيرا، جاء ذلك الوقت التاريخي الذي كان جيوردانو برونو على ثقة راسخة به حتى اللحظة الأخيرة من حياته، يملأه الإيمان بالعدالة والحقيقة، إذ أبصرت الماركسية النور في أوائل القرن التاسع عشر. لم يكن إبداع الماركسية مجرد ظهور النزعة الفكرية الجديدة، بل كان يعني الهزيمة التامة للمثالية والغيبية في حقل الفكر، واللتين كانتا تفرضان على البشر القضاء والقدر.

قدم مبدعو الماركسية المادية الجدلية على أساس نجاحات الجدلية التي كانت مقنعة بقناع المثالية ("الجدلية المقلوبة" بعبارة ماركس)، ومستوى التطور العلمي في ذلك الحين، ومضمونها باختصار هو أن العالم يتألف من المادة، وكل الأشياء والظواهر في العالم ترتبط بعضها ببعض وتتحرك وتتغير وتتطور باستمرار.

إن وجهة النظر الماركسية حول العالم أثرت تأثيرا كبيرا في تطور التاريخ وصنع مصير الناس، بكونها نظرة علمية إلى العالم تعكسه كما هو عليه في الواقع الموضوعي. بفضل هذه الماركسية، استطاعت الجماهير العاملة المستغلة أن تتخلص من الخيالات الدينية والتلفيقات المثالية، وتدرك أن شقاءها لا يعزي سببه إلى قدرها أو وحي الرب، بل أنه يعزي إلى استغلالها من طرف الطبقة الرأسمالية والنظام الرأسمالي الذي يدافع عنها بحد ذاته، وأن السبيل إلى عيشها بالسعادة بعد تحررها من الاستغلال والاضطهاد هو النضال ضد الرأسمال.

ولكن تلك هي نظرة عامة إلى العالم تتيح للناس أن يروا العالم ويعاملوه على حاله، وبعبارة أخرى، تلقنهم ضرورة إدراك قوانين تغير

وتطور العالم المادي الموضوعي إدراكا صائبا، وعلى أساس ذلك، قيامهم بالأفعال بما يتفق معها.

إلا أن الناس لا يستطيعون، بمجرد ذلك، أن يحققوا أهداف حياتهم ولا يجدوا سعادتهم.

إذا أرادوا أن يصنعوا حياتهم الحقيقية، فلا يجوز لهم أن يقتصروا على إدراك القوانين الموضوعية وممارسة أعمالهم بما يتلاءم معها فقط، بل عليهم أن يعملوا، على أساس ذلك، على تحويل وتغيير الطبيعة والمجتمع على نحو إيجابي وبمبادرة منهم.

لكن وجهة النظر المادية الجدلية حول العالم تقصر في حث الناس على تأدية مسؤوليتهم ودورهم تماما من أجل حياتهم، والأكثر من ذلك، لا تضيء مباشرة طريق صنع مصيرهم.

إن ما ينير طريق الناس لصنع مصيرهم إنارة مباشرة وعلمية هو تحديدا وجهة النظر المتمحورة على الإنسان حول العالم.

تتطلب وجهة النظر هذه طرح كل المسائل المتعلقة بوجهة النظر حول العالم وحلها عن طريق ربطها بالإنسان، ورؤية العالم ومعاملته بالارتكاز على الإنسان الذي يعيش ويتطور بالاستفادة المبادرة والإيجابية من العالم. هذا وتعلم الناس تعليما مباشرا حقيقة صنع مصيرهم، وتعطي رأيا ونظرة إلى العالم وموقفا منه، بعد وضعهم في الصدارة، وبذلك، تزرع في قلوبهم وعيا جديرا بسادة حياتهم، وتشير إلى الطريق القويم لصنع مصيرهم. هكذا، تعطي للناس رأيا وسلوكا يمكنهم بهما تدبير حياتهم وخلق سعادتهم بجهودهم المبادرة والإيجابية، على أساس إدراكهم العلمي للعالم.

ليست هذه نزعة ذاتية تفسر العالم على هواها لصالح نفسها وهي تؤكد

على طموحات الإنسان الذاتية وأمانيه من طرف واحد متجاهلة العالم الموضوعي، ولا موضوعانية تتميز بمجرد عكس العالم كما هو عليه.

كما أنها ليست إدعاءات غير علمية تقول بأن العالم تشكل باتخاذ الإنسان محورا له أو أن الإنسان هو معيار جميع الأشياء.

بمجرد هذه الشروحات، ربما لا تكون لديكم فكرة واضحة عما تقدم آنفا، فدعونا ندقق النظر في المسائل واحدة واحدة.

٢ـ المبدأ الأساسي لصنع المصير

أهم مبدأ من مبادئ حياة الناس التي توضحها وجهة النظر المتمحورة على الإنسان حول العالم هو إعطاء جواب عن مسألة بشأن مَنْ هو سيد المصير ولمن قوة صنعه.

قال الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ ما يلي:

"إن فكرة زوتشيه فكرة تقول بأن المرء هو سيد مصيره وأنه يملك هو نفسه القدرة على صنع مصيره أيضا."

إن الإنسان هو نفسه سيد مصيره وله قوة صنع مصيره أيضا وهو ما يعد مبدأ أساسيا لصنع مصيره توضحه وجهة النظر المتمحورة على الإنسان حول العالم. يكون ثمة كثير من المسائل الواجب حلها بهذا الشكل أو ذاك في مسار تدبير الناس لحياتهم، وجواب عن كل هذه المسائل يتجمع في هذه المقولة الواحدة.

عند تشبيه مصير الإنسان بالمركب الكبير، فإن من يمسك بدفته هو الإنسان ومن يجذفه هو أيضا الإنسان.

إذن، نورد فيما يلي ماذا يعني أن الإنسان هو نفسه سيد مصيره وله قوة صنعه أيضا.

١) الإنسان هو نفسه سيد مصيره

في الأساطير الإغريقية القديمة، قصة "مويرا".

جاء فيها أن ثلاث إلاهات تمسك بخيوط الحياة لكل إنسان وتتحكم بمصيره، تعيش مع العديد من الآلهة في القصر الذهبي الفخم المشيد على السحب فوق أعلى قمة من جبل أولمب.

يقع في قبضتها حتى مصير زيوس وهو المسيطر على جميع الأشياء في العالم، ناهيك عن مصير الناس.

تغزل الأولى كلوت بمغزالها خيط حياة الإنسان، وعند انقطاع هذا الخيط، تنتهي حياته. والثانية لاتشيسيس تسحب قرعة تقرأ بخت طول حياة الإنسان، والثالثة أبربوس تكتب على ورق طويل ملفوف ما حددته أختاها الكبيرتان عن طول حياة الإنسان، ولا يمكن التجنب مما كتب عليه مرة واحدة. ...

طبعا، إن الأساطير حكايات ملفقة على ألسنة الأقدمين، لكن قصة "مويرا" تتضمن الآراء في المتحكم بمصير الإنسان.

يتم صنع مصير الإنسان في العلاقات مع العالم. وبعبارة أخرى، يجري صنع مصير الإنسان من خلال التفاعل المتبادل مع البيئة الطبيعية أو الظروف الاجتماعية التي تشكل العالم. ومن هنا، تطرح المسألة فيما إذا كان السيد المسيطر على مصير الإنسان هو الإنسان نفسه أو أي كائن غيبي أو بيئة محيطة به.

يمكن إيجاد الرأي الذي يعتبر الكائن الإلهي كمسيطر على مصير الإنسان، في عديد من وجهات النظر الدينية حول العالم، فضلا عن أساطير اليونان الأقدمين.

ترى هل يسيطر الكائن الإلهي على مصير الإنسان، مثلما تزعم تلك الأساطير والأديان؟ كلا أبدا وإن كان هذا الجواب قد يؤسف من يأتمنون بذلك الرأي.

في يومنا هذا الذي تطورت فيه العلوم والتكنولوجيا وبلغت الحضارة علوا فائقا، أصبح سخيفا القول بأن الإله متواجد في مكان ما في أقصى تلك السماء.

سيد مصير الإنسان ليس "مويرا"، بل إنه الإنسان نفسه.

الإنسان هو مسؤول عن مصيره وله حق في صنع مصيره حسب إرادته. يختار الإنسان هذا أو ذاك من طرق مصيره ويخطط مساراته ويعقد عزمه، حسب مصالحه، من أجل تحقيق مطالب حياته، وعلى هذا النحو، يسلك طريق تطوره الذي لا نهاية له.

إذن، لماذا يصبح الإنسان سيد مصيره؟

ذلك لأن الإنسان يسيطر على الطبيعة والمجتمع. عيش الإنسان يعني مسار تحقيق مطالبه في هذا أو ذاك من العلاقات مع الأشياء والظواهر المحيطة به. إذا كان الإنسان هو مسيطر على العالم المحيط به، فإننا نتوصل إلى استنتاج مفاده أن سيد مصير الإنسان هو الإنسان نفسه.

لنر ذلك بالتفصيل فيما يلي:

الإنسان هو سيد العالم ومسيطر على الطبيعة والمجتمع. تكون ثمة في العالم الكائنات المادية المتنوعة. لكن الإنسان هو وحده من بينها يعيش فيما هو يسيطر على العالم المحيط به. مثلا إن الحيوان يحافظ على وجوده، متكيفا مع البيئة الخارجية. من دون تكيفه مع البيئة الطبيعية، لا يمكنه أن يحافظ على نفسه ولا يترك نسله ليحفظ سلالته. الأسد الذي يسمى بـ"ملك" السهب يعيش على افتراس الحيوانات الأخرى، من شدة قوته، لكنه لا يستطيع أن يسيطر على الطبيعة. ولذلك، إذا لم يجد ما يأكله، فهو يموت دون أن يبحث عن سبيل آخر. إذا جف الماء في النهور والبحيرات، حين حل القحط الشديد، فنرى الحيوانات تموت جماعات في

الأحوال الكثيرة، ويبيّن ذلك أن الحيوانات تعيش بأسلوب التكيف مع العالم المحيط بها، لا بالسيطرة عليه.

وبخلاف ذلك، يعيش الإنسان فيما هو يجعل العالم المحيط به مسخرا له بما يتلاءم مع إرادته.

بادئ ذي بدء، يسيطر الإنسان على الطبيعة.

يعيش الإنسان فيما هو يستغل ما في الطبيعة بما يتفق مع مصالحه ومطالبه، لا بل إنه يتغلب على تأثيرات الطبيعة التي تسيء إلى الإنسان، ويحولها إلى ظروف وبيئة صالحة له. ويعمل الإنسان على منع الفيضان أو الجفاف وتوليد الطاقة الكهربائية، بطريقة السيطرة على الأنهار بعد بناء السدود، ويستخرج الموارد الباطنية لاستعمالها ويروض الحيوانات البرية بقصد استخدامها. هذا ويحول دون إقفار الطبيعة، ويعتني بالبيئة الطبيعية، حتى تزخر الجبال والسهول بمختلف أنواع الحيوانات والنباتات النافعة.

كما أن الإنسان هو سيد المجتمع.

المجتمع هو ما صنعه الإنسان ويسيطر عليه. طبعا إن الإنسان يتأثر بالبيئة الاجتماعية، إلا أن ما هو مبادر وحاسم في العلاقات بين الإنسان والمجتمع يُعتبر السيطرة على المجتمع من قبل الإنسان.

كل الخيرات الاجتماعية يصنعها الإنسان ويستخدمها، ويعمل على تغيير أو تحويل النظام الاجتماعي الذي لا يتلاءم مع مطالبه. تدل على ذلك الحقائق التاريخية المتمثلة في تغير مجتمع الرق إلى المجتمع الإقطاعي، ومنه إلى المجتمع الرأسمالي، وأخيرا، ظهور الاشتراكية التي قضت على الاستغلال والاضطهاد قضاء نهائيا.

من وجهة النظر هذه، يمكن القول إن الكائن الإلهي أيضا يسيطر

عليه الإنسان بالذات. لأن الحكايات الأسطورية بحد ذاتها اختلقها الإنسان. كما يعرف الجميع، إن كل "الآلهة" الواردين في أساطير اليونان الأقدمين يتخذون هيئة الإنسان، فهم يحبون ويحسدون ويقاتلون ويساعدون بعضهم لبعض، وينجبون الأبناء ويربونهم، مثلما يفعل الإنسان. ولكل أنواع النظريات الدينية مبدعوها. تدل هذه الحقيقة مرة أخرى على أن الكائنات الإلهية المسماة بالمسيطر على المصير لا يعدو كونها مجرد تلفيقات الناس. ومن هنا، يمكننا أن نرى أن الإنسان يسيطر على "تحكم" الآلهة بمصير الإنسان، و"الحب" بين الآلهة والإلهات و"سرورهم" وغيرها من كل الأمور.

هكذا، طالما أن الإنسان يسيطر على العالم المحيط به، الطبيعة والمجتمع، لا يمكن لأي كائن خرافي في العالم الذي يسيطر عليه الإنسان، أن يكون سيد مصير الإنسان. فمن الطبيعي أن يغدو الإنسان بما هو سيد يسيطر على العالم، سيدا لمصيره بالذات.

ولكن هناك بعض المسائل التي يجب تأكيدها في إدراك كون الإنسان سيد مصيره.

أولا، لا يجوز فهم سيطرة الإنسان على العالم من ناحية ميتافيزية.

لا يستطيع الإنسان أن يسيطر حاليا على كل الأشياء والظواهر في العالم. يمكن القول إن نطاق سيطرة الإنسان طفيف جدا، بالمقارنة مع العالم المحيط به وخصوصا، نطاق الطبيعة الفسيحة التي لا حد لها.

فإن سيطرة الإنسان على العالم تعني أن الإنسان ليس خاضعا للعالم، بل أنه يحتل مكانة السيطرة عليه، وما برح يوسّع قوته التأثيرية في العالم غير المتناهي.

وكذلك لا يجوز فهم مقولة أن المجتمع أيضا صنعه الإنسان على

غرار أن الناس يستطيعون أن يختاروا هذا أو ذاك النظام من الأنظمة الاجتماعية حسب رغبتهم في أي وقت من الأوقات. من الواضح أن القوانين الموضوعية تعمل في المجتمع، بغض النظر عن إرادة الإنسان. لا يمكن للإنسان أن يسيطر على المجتمع بما يتلاءم مع مطالبه إلا عندما يدرك إدراكا صائبا القوانين الموضوعية لتطور المجتمع ويستفيد منها على نحو صائب. فإن مقولة أن المجتمع أيضا صنعه الإنسان تعني أن الإنسان هو صاحب مباشر للعلاقات الاجتماعية.

كما لا يجوز فهم مبدأ فكرة زوتشيه القائل بأن الإنسان هو سيد مصيره، انطلاقا من موقف الفردية.

يفسر بعض الناس ذلك المبدأ تفسيرا خاطئا، وهم ينسبونه إلى حل مسألتهم الشخصية، أي على غرار أن وصولية الأفراد وشهرتهم يجب تحقيقهما بجهودهم وحدها...

هذا الرأي الهادف إلى تحقيق أغراض الأفراد الأنانية لا يمت بصلة إلى مبدأ فكرة زوتشيه.

الإنسان الذي تبرزه فكرة زوتشيه كسيد المصير مفهوم فلسفي. وبعبارة أخرى، إنه مفهوم تم تعميمه فلسفيا في العلاقات بين الطبيعة والمجتمع، باتخاذ الإنسان كائنا اجتماعيا وجماعيا، وأبعد من ذلك، يعني هذا الإنسان جماهير الشعب العامل بكونها صاحبا لتحويل الطبيعة وتغيير المجتمع.

حين تتحدث فكرة زوتشيه عن مصير الإنسان، فإنها تقصد مصير جماهير الشعب العامل التي تناضل من أجل السيطرة على الطبيعة والمجتمع بما يتلاءم مع إرادتها ومطالبها، وتعني أن مستقبل مصيرها وقف على الجماهير العاملة نفسها.

إذا تحدثنا عن الإنسان بكونه كائنا فرديا، فان ذلك الفرد لا يستأثر بأهمية إلا عندما يكون فردا من أفراد الجماعة الاجتماعية المسماة بالجماهير العاملة. خلاصة القول إن الإنسان هو سيد مصيره.

٢) إن للإنسان قوة صنع مصيره أيضا

قال الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ في مذكراته "في دوامة القرن" كما يلي:

"كان بين أعضاء رابطة الناشئين عدد غير قليل من أبناء المسيحيين. وكانوا متأثرين جدا بذويهم لدرجة الاعتقاد بوجود (الرب) في الدنيا. وعلى الرغم من توضيحنا لهم عكس ذلك والتأكيد على سخف المعتقدات الدينية، إلا أن ذلك كله لم يجد نفعا. ذات يوم، طلبت من معلمة في مدرسة الكوريين الابتدائية، وكانت تحت تأثيرنا، أن تأخذ التلاميذ المتدينين إلى الكنيسة للصلاة. عملا بنصيحتي، ذهبت بتلاميذها إلى الكنيسة وجعلت التلاميذ يرددون معها طول النهار هذا الدعاء: (أبانا الذي في السموات، يا كلي القدرة والعلم، نحن جياع، ونتوسل إليك أن تقدم لنا كعك الأرز والخبز) ولكنه لم يمنحهم ذلك الطعام، بينما كان جوعهم يزداد. وفي يوم آخر، طلبت من المعلمة أن تأخذهم إلى حقل قمح محصود لكي يجمعوا السنابل المتبقية فيه. وقد جمعوا في ذلك اليوم كمية لا بأس بها من السنابل، فصنعت منها خبزا ووزعته على التلاميذ. وهكذا أدركوا أن العمل للحصول على القوت أفضل من التوسل إلى (الرب)."

إن الإنسان هو نفسه يملك قوة صنع مصيره. هذه حقيقة اكتشفها

الرئيس كيم إيل سونغ في الفترة الأولى من انطلاقه إلى طريق النضال لإنقاذ مصير الشعب الكوري.

حين انخرط في طريق النضال، بعد تسجيل اسمه في مدرسة يووين الثانوية بجيلين، كانت حركة التحرر الوطني الكورية المناهضة لليابان في حالة سيئة، إذ كان كثير من الكوريين المدعين بشن حركة التحرر الوطني، يحلمون بتحقيق استقلال بلادهم بالاعتماد على القوى الخارجية. فقد كان بعض منهم يقصدون الكومنترن لتلقي اعترافه بعد تشكيل الأحزاب كل على حدة ويتردد بعضهم الآخر على الدول الإمبريالية الكبرى مثل الولايات المتحدة ليلتمسوا منها تحقيق استقلال بلادهم.

لكن النتائج كانت مأسوية. من أبرز الأمثلة على ذلك حادث المبعوثين السريين في لاهاي. يعني هذا إرسال الإمبراطور الكوري كوجونغ في ذلك الحين الوفد الكوري إلى مؤتمر الصلح العالمي الثاني المنعقد في لاهاي بهولندا في حزيران/ يونيو عام ١٩٠٧، بهدف كشف الطابع غير المشروع "لمعاهدة وولسا ذات البنود الخمسة".

من جراء تلفيق هذه "المعاهدة" في يوم ١٧ من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٠٥ على أيدي المعتدين الإمبرياليين اليابانيين، حرمت كوريا تماما من حق ممارستها الدبلوماسية، وفي الواقع، صارت "الإقامة العامة" اليابانية تتحكم بشؤون كوريا الداخلية.

هكذا، حين صار مصير البلاد والأمة في مهب الريح من قبل المعتدين الإمبرياليين اليابانيين، كان الوطنيون القلقون على مصير البلاد، وقد انهمكوا في حركة التنوير الثقافي الوطني، مثل لي جون، ولي سانغ سول، ولي وي جونغ، يخططون لإثارة الرأي العام الدولي بخصوص وضع البلاد البائس، معلقين بصيصا من الأمل على ذلك. فقد

صاروا يعتبرون مؤتمر الصلح العالمي الثاني فرصة سانحة لهم، وقاموا بنشاطاتهم لتنفيذ غرضهم بواسطة الإمبراطور.

ومن جهة أخرى، كان الإمبراطور كوجونغ يحمل وهما حول مؤتمر الصلح العالمي بغرض حفظ سلطانه، ويود أن يرسل لي جون وغيره إلى هذا المؤتمر سريا ليكشفوا النقاب عن تلفيق "معاهدة وولسا ذات البنود الخمسة" من قبل الإمبرياليين اليابانيين، وذلك حرصا على استرجاع سيادة البلاد المحرومة على أيديهم بالحصول على عطف القوى الخارجية.

بعد أن وصل هؤلاء الوطنيون الثلاثة برئاسة لي جون إلى لاهاي بهولندا ومعهم رسالة الإمبراطور السرية، اقترحوا اشتراكهم في مؤتمر الصلح العالمي بكونهم ممثلين كوريين.

لكن الدول الكبرى التي حضرت هذا المؤتمر اتخذت موقف الحماية النشطة للإمبرياليين اليابانيين، حتى حرضت رئيس المؤتمر على رفض اشتراك الممثل الكوري في المؤتمر بدعوى أنها لا تستطيع أن تعترف بالممثل الكوري طالما أن اليابان أصبحت تحل محل كوريا في الشؤون الدبلوماسية، بموجب "معاهدة وولسا ذات البنود الخمسة".

في هذه الظروف، قام الممثلون الكوريون بالنشاطات المكثفة لكشف واستنكار مكائد الإمبرياليين اليابانيين اللصوصية للاعتداء على كوريا، بالاستفادة من كل الإمكانيات. فمن خلال منبر جمعية الصحفيين الدولية العاملة في لاهاي ومختلف أنواع المطبوعات الصادرة منها، كشفوا الأعمال الإجرامية التي اقترفها الإمبرياليون اليابانيون للاعتداء على كوريا من باطنها وخارجها، ونددوا بها، ودعوا الرأي العام العالمي بحرارة إلى تأييد نضال الشعب الكوري لردعها وإحباطها.

لكن الجهود المثيرة للدموع، التي بذلها الممثلون الكوريون طلبا لتعاطف الدول الكبرى لاقت مرارة الإخفاق في كل خطوة يخطونها، من جراء أعمال الإمبرياليين اليابانيين التعويقية الشرسة، وردود الفعل الفاترة من ممثلي مختلف البلدان.

أدرك لي جون أخيرا ولو متأخرا أن الدول الكبرى والإمبريالية اليابانية هما وجهان لعملة واحدة، ولم يستطع أن يكبح سخطه وحزنه، بحيث قتل نفسه ببقر بطنه بالسكين احتجاجا على أعمال الإمبرياليين العدوانية.

لكن هذا الحادث لم يكن قادرا على إيقاف اعتداء الإمبرياليين اليابانيين على كوريا، إذ لم يترددوا ولم يوقفوا خطاهم أمام هذا الحادث، بل إنهم شددوا من اعتدائهم على كوريا.

فقد أبعدوا كوجونغ عن عرش الإمبراطور، بذريعة مسؤوليته عن إرسال المبعوثين السريين، وانتزعوا سلطة كوريا الداخلية تماما بعد تلفيق "معاهدة زونغمي ذات البنود السبعة" مما زاد أزمة دمار كوريا تفاقما.

إن دم لي جون الأحمر الذي ضرج قاعة مؤتمر الصلح العالمي حذر بوضوح من أن أي بلد قوي كبير لن يهب الاستقلال لكوريا، ولا يمكن لأحد أن ينقذ مصيره ويصنعه بفضل الآخرين.

بعد أن استشف الرئيس كيم إيل سونغ أحوال حركة التحرر الوطني في ذلك الحين ودروس التاريخ، اكتشفوا حقيقة قيمة بأن لدى الإنسان نفسه قوة إنقاذ مصيره.

هكذا، يكون للإنسان ذاته قوة إنقاذ مصيره.

إذا عدنا بذاكرتنا إلى أقدم العصور، فنجد أن الإنسان ظل يتطلع بشغف إلى يد إنقاذه في صنع مصيره، منذ بداية تاريخ البشرية السحيق.

من أبسط الأمثلة على ذلك أن المصريين في العصور القديمة شيدوا

هيكل إله الشمس حيث قدموا إليه كميات هائلة من القرابين جيلا بعد جيل، وقلع قوم مايا قلوب أكثر من ٢٠ ألف رقيق دفعة واحدة، وتضرعوا بها إلى إله الشمس أن يجلب لهم الحظ السعيد، على ما يقال.

وقيل إن قوم إنكا هجروا أراضيهم الخصبة الفسيحة صعودا إلى قمة جبل آندس الذي يبلغ ارتفاعه ٣٤٠٠ متر، وبنوا فوقها "مدينة الشمس"، وذلك رغبة منهم في العيش في مكان أقرب من الشمس ولو قليلا، والتمتع بمزيد من نعمتها.

كما كانت الجماهير العاملة المستغلة تعلق أملا على الرب أو الملك أو البطل راجية منهم تخليصها من الحالة البائسة.

لكن أمنيتهم هذه لم تتحقق لقرون طويلة. ذلك لأن قوة إنقاذ مصير الإنسان كانت لدى نفسه بالذات.

لنر ذلك بأكثر تفصيلا.

إن الإنسان يؤدي دورا حاسما في تحويل الطبيعة والمجتمع. طبعا، إن مختلف العوامل مثل الوسائل المادية والتقنية تمارس تأثيرها في قيام الإنسان بتحويل وتغيير الطبيعة والمجتمع، وينطوى دورها على جانب كبير من الأهمية. مثلا إن الظروف الموضوعية، أي البيئة الدولية والوضع السياسي الداخلي وغيرهما جد مهمة في تحويل المجتمع.

واليوم وهو عصر صناعة المعلوماتية، يتعاظم دور العلوم والتكنولوجيا على نحو مدهش في تطور المجتمع والاقتصاد.

بخصوص ذلك، يقول بعض الناس كما لو أن العلوم والتكنولوجيا تكون حاليا قوة محركة لصنع مصير الإنسان، وبتعبير أدق، لتغير المجتمع وتطوره. أبلغ دليل على ذلك هو نقاش عن "المجتمع المعلوماتي". أصحاب "نظرية المجتمع المعلوماتي" يقومون بتعريف

هذا "المجتمع" كمجتمع تكون فيه المعدات المعلوماتية أساسا لإنتاج الخيرات المادية والحياة الاجتماعية.

تقوم ادعاءاتهم على حتمية التكنولوجيا القائلة بأن التكنولوجيا قوة محركة تسفر عن التغيرات الاجتماعية. تأتي التكنولوجيا بالتغيرات في علاقات السلطة بين الناس القادرين على امتلاكها واستخدامها والعاجزين عن ذلك.

بناء على حتمية التكنولوجيا هذه، يبالغون في جانب التطور المتسارع لتقانة المعلوماتية، وازدياد تأثيرها في الحياة الاجتماعية، ويقولون إن "المجتمع الصناعي"، المجتمع الرأسمالي يتحول إلى "مجتمع معلوماتي"، بفعل الثورة العلمية والتقنية، الثورة المعلوماتية".

ترى هل تكون العلوم والتكنولوجيا "أقوى وأهم قوة محركة ذات تأثير انتشار كبير" من شأنها أن تصنع التاريخ؟

هل تكون العلوم والتكنولوجيا عاملا حاسما يصنع مصير الإنسان، مثلما يقولونه؟

أولئك الناس الذين يرون العلوم والتكنولوجيا قوة محركة لتطور المجتمع وصنع مصيرهم قد ارتكبوا خطأ كبيرا. إذ أنهم ينسون حقيقة واحدة تالية، ولا ندري أنهم ينسونها أو يتجاهلونها عمدا. مختلف الوسائل المادية والتقنية، بدءا بتقانة المعلوماتية هي التي صنعها الإنسان في كل الأحوال، ولا تؤدي دورها إلا بقيادة الإنسان.

طبعا، إن العلوم والتكنولوجيا تؤدي دورا هاما في صنع مصير الإنسان. إلا أن الوسائل التقنية المتطورة لا يمكن، مهما تكن رائدة، أن تحل محل دور الإنسان الذي يصنعها ويستخدمها.

وبالمثل، يستطيع الإنسان، في تغيير العلاقات الاجتماعية أيضا، تحويل الوضع الموضوعي الطالح إلى آخر صالح، أو ربما لا يستطيع

الاستفادة الفعالة من الوضع المؤاتي، حسب مدى استعداده.

يعمل الإنسان على تحويل الطبيعة والمجتمع، متغلبا على الظروف الطبيعية والتأثيرات الاجتماعية السيئة، مستفيدا بفعالية من البيئة المؤاتية.

هكذا، يكون الإنسان، في تحويل الطبيعة والمجتمع، عاملا حاسما أكبر من أي عامل موضوعي مثل الوسائل المادية والتقنية.

عندما نقول إن الإنسان يؤدي دورا حاسما في تحويل وتطوير الطبيعة والمجتمع، يعني ذلك تحديدا أنه يؤدي دورا حاسما في صنع مصيره.

من المعروف للجميع أن مصير الإنسان يتم صنعه في سياق تحويل العالم. ولكن بما أن الإنسان يؤدي دورا حاسما في تحويل العالم وتطويره، ليس ثمة في الدنيا أية قوة تستطيع أن تصنع مصير الإنسان بدلا منه.

إن للإنسان نفسه قوة صنع مصيره. لا يستطيع الإنسان أن يصنع مصيره إلا بقوته، ولديه تلك القوة.

تحدثنا حتى الآن، عن أن الإنسان هو سيد مصيره، ولديه قوة صنعه أيضا.

هذا هو مبدأ أساسي لصنع المصير، ويكمن فيه جوهر فكرة زوتشيه. كل المبادئ والمضامين الأخرى لفكرة زوتشيه تقوم على هذا المبدأ، وتتضح بالتفصيل تجسيدا له.

وبالتالي، تجد فكرة زوتشيه تعبيرا موجزا عنها في مبدأ قائل بأن الإنسان هو نفسه سيد مصيره ولديه قوة صنعه.

إذن، لنر باستمرار لماذا يصبح الإنسان سيد الطبيعة والمجتمع وسيد مصيره، ويغدو كائنا يحول الطبيعة والمجتمع ويصنع مصيره بقوته الذاتية.

٣ـ أي كائن هو الإنسان؟

المسألة: أي كائن هو الإنسان تعد، من حيث وجهة النظر حول العالم، مسألة إيضاح الخصائص الأصيلة التي ينفرد بها الإنسان ولا تملكها الكائنات المادية الأخرى.

ظلت هذه المسألة موضع نقاش دائم عبر التاريخ في دراسة وجهة النظر حول العالم. في سياق ذلك، ظهر هذا أو ذاك من الآراء الكثيرة، لكن أي رأي من تلك الآراء لم يقدم إيضاحا فلسفيا صائبا عن الإنسان.

أخيرا، أعطت فكرة زوتشيه إيضاحا علميا كاملا عن الإنسان.

١) "مفتاح باب" المصير

قيل إن الفيلسوف الشهير سقراط في اليونان القديمة كان مولعا باستخدام عبارة "إعرف نفسك".

أصلا إن هذه العبارة كانت معلقة على بوابة هيكل أبولون في دلفي، الذي كان على صلة عميقة به.

"إعرف نفسك."

رغم أن سقراط كان يردد كثيرا هذه العبارة، لكنه لم يعرف جوابا صائبا عن المسألة: أي كائن هو الإنسان.

إذن، بأي رأي خاص بالإنسان فتح الأقدمون بوابة هيكل أبولون؟

لماذا توحي تلك العبارة المذكورة أعلاه لنا بالمعنى العميق في يومنا هذا أيضا؟

إن فهم الإنسان من وجهة النظر حول العالم يمكن اعتباره بالمجاز "مفتاح باب" المصير.

يقرر كل شخص هدف حياته واتجاهها ويجد سبيلا إلى تحقيقه، بناء على رأيه في طبيعة الإنسان.

تدبير الحياة يعني مضي الإنسان في أداء مطالبه الجوهرية (طبيعة أو جوهر الإنسان يعني خصائصه وطابعه بالذات، أما مطالبه الجوهرية فهي لا تعني المطالب المادية فقط، بل المطالب الروحية والثقافية، المطالب الاجتماعية والسياسية وغيرها). ولذلك، فمن المؤكد أن كل شخص يملك هذا أو ذاك من الآراء في طبيعة الإنسان، وانطلاقا من ذلك، يختار طريق حياته.

ليس من المبالغة القول فعلا إن تاريخ البشرية كان سياق ظهور عدد كبير من تلك "المفاتيح"، وانفتاح مختلف "أبواب" مصيرها بواسطتها.

لنر إذن، أي نوع من "المفاتيح" كان موجودا في تاريخ صنع مصير الإنسان، وأي نوع من أنواع المصير جاء وراء "الأبواب" المفتوحة بواسطتها.

لا يمكن ولا حاجة هنا إلى الإسهاب في كل حوليات تاريخ تطور وجهات النظر حول العالم، الممتد إلى آلاف السنين. فمن المناسب تناول الآراء في الإنسان ببساطة، بعد تصنيفها إلى عدة صنوف.

في الفترات الخوالي، كان يسود الدنيا أساسا الرأي الذي يرى الإنسان ككائن روحي والآخر الذي يرى الإنسان ككائن مادي، أي كائن طبيعي وبيولوجي.

أبرز ما يرى الإنسان كائنا روحيا هو رأي هيغل (١٧٧٠-١٨٣١).

في أيام الشباب، كان هيغل يتميز ببطء الحركة إلى حد يسمى معه بلقب "العجوز" حين كان يدرس في جامعة توبنغن، وعند تخرجه منها، تم توصيفه بأنه "يستطيع أن يحترف العلم اللاهوتي، لكنه يفتقر إلى المهارة الفلسفية"، ولكن صار، يا للعجب، يسيطر على أوساط الفلسفة البرجوازية الألمانية. إنه رأى العالم سياقا لنشر "الفكرة المطلقة" و"روح العالم" نفسيهما، كما رأى أن الإنسان ما هو إلا الظهور الروحي للعيان في مرحلة معينة من مراحل تطور "الفكرة المطلقة" و"روح العالم"، قائلا إن "طبيعة الإنسان هي التفكير".

علاوة على ذلك، تشتمل الآراء التي ترى الإنسان ككائن روحي، على الرأى الذي يرى طبيعة الإنسان على أنها "إرادة للوجود"، أو "إرادة للسلطة"، أو "العبادة".

والرأي الذي يرى الإنسان كائنا طبيعيا وبيولوجيا هو رأي فرويد (١٨٥٦- ١٩٣٩).

قال فرويد إن الوعي يخضع ل"اللاشعور"، والأخير هو "اللبيد (الشهوة الجنسية)" من حيث المضمون. ينشأ الوعي من الخلاف بين "اللبيد" والبيئة الاجتماعية. يبدأ هذا الخلاف في أوائل طور الطفولة، وحسب كيفية تشكل هذا الخلاف، يكتب مصير الإنسان أيضا كمصير محتوم.

يشرح علم النفس الفرويدي شرحا سخيفا أن كل النشاطات الروحية بما فيها نفسية الإنسان وحتى نضال جماهير الشعب لتحويل المجتمع القديم مثل النضال الطبقي والثورة هي تجلي مختلف أشكال "اللبيد"، وظواهر غير عادية ناجمة عن كبحها.

هذه الآراء التي ترى الإنسان على أنه كائن روحي أو كائن طبيعي

وبيولوجي كانت تتصف بالطابع الاجتماعي والسياسي الذي يعكس المصالح الطبقية، ودار جدال حاد حولها عبر التاريخ.

يمكننا أن نفهم بسهولة أن الرأي الذي يرى الإنسان كائنا تسيطر عليه الغريزة مثلا، يستخدم للدفاع عن المجتمع الرأسمالي الذي تسوده شريعة الغاب، ويزرع الفساد والانحلال في أوساط الجماهير العاملة.

ليس الإنسان مجرد كائن روحي أو كائن بيولوجي، بل إنه كائن اجتماعي. ههنا تكمن خاصية الإنسان الهامة التي تميزه عن الكائن البيولوجي الآخر.

حددت الماركسية طبيعة الإنسان على أنها محصلة للعلاقات الاجتماعية. كتب ماركس في "موضوعة عن فويرباخ" أصدرها في عام ١٨٤٥ أن "طبيعة الإنسان... هي محصلة للعلاقات الاجتماعية". هذا يعني أن الإنسان يعيش وسط العلاقات الاجتماعية، وأن خاصية الإنسان هي ما تحدده العلاقات الاجتماعية.

لكن هذا الرأي لا يكون تفسيرا عما يتميز به الإنسان نفسه من الخصائص الجوهرية.

من جهة أخرى، كانت ثمة في الأيام الماضية محاولات هادفة إلى تفسير طبيعة الإنسان بناء على خصائصه. مثال على ذلك هو تعاريف للإنسان على غرار أنه كائن ناطق وكائن عامل وكائن مفكر. طبعا، إن هذه هي ما يتميز به الإنسان.

لكنها لم تكن أكثر من تناول الجوانب الفردية من نشاطات الإنسان، التي تأتي مظهرا لخاصيته الجوهرية، وبالتالي، تقصر تلك الآراء في الإيضاح العلمي والشامل لخصائص الإنسان الجوهرية.

هكذا، رغم أن الأفكار السابقة بحثت كثيرا في مصير الإنسان

بهذا الشكل أو ذاك، لكنها كانت عاجزة عن الإيضاح الصائب لخصائص الإنسان الجوهرية. لم تكن باستطاعة الأفكار السابقة أن توضح للناس توضيحا صائبا سبيل صنع مصيرهم لأنها لم تفهم بصواب أي كائن هو الإنسان.

ولكن، بفضل فكرة زوتشيه اتضح أخيرا بصورة علمية أن الإنسان هو كائن اجتماعي ذو استقلالية وإبداعية ووعي. وعلى ذلك، أصبح للإنسان مفتاح من شأنه أن ينير سبيلا صائبا إلى صنع مصيره الحقيقي.

إذن، لنر بالتفصيل رأي فكرة زوتشيه في الإنسان.

٢) نقطة الانطلاق

تنطلق فكرة زوتشيه من كون الإنسان كائنا اجتماعيا في إيضاح خصائصه الجوهرية.

كثيرا ما نرى في الحياة أن المرء إذا أخطأ في إغلاق أول زر، أخطأ في إغلاق حتى آخر زر، عند لبس الثوب.

وبالمثل، يكون من المهم من أين يبدأ أول انطلاق في بحث خصائص الإنسان الجوهرية أيضا، أي أن النجاح في حل المسألة يتوقف على ما إذا كان إيضاح خصائص الإنسان ينطلق من النظرة التي ترى الإنسان ككائن طبيعي وبيولوجي أو من النظرة التي تراه ككائن اجتماعي.

ترى النظرة الأولى طبيعة الإنسان على أنها تطور وتكامل الخواص الغريزية التي يملكها الكائن الحي عامة. هذا يعني أنها تفهم الإنسان بما لا يختلف عن الكائن الحي عامة والحيوانات خاصة.

في النهاية، يصبح خط الفصل الأساسي مبهما بين الإنسان وهو كائن

اجتماعي والكائنات الحية الأخرى مما يؤدي إلى الرأي الخاطئ مثل نظرية العنصرية.

أما العنصرية فهي نظرية رجعية تقول بأن الثقافة القومية والقدرة الروحية للأمة والصفة القومية تحددها المواهب العرقية، وأن التفاوت الاجتماعي أيضا يقوم على فوارق الوراثة العرقية.

قام الدبلوماسي الفرنسي غوبينو (١٨١٦-١٨٨٢) بتنهيج هذه العنصرية نظريا، بحيث حدد الجنس الأبيض كـ"جنس راق"، والجنس الملون كـ"جنس وضيع"، ودعا إلى ضرورة سيطرة الجنس الأبيض بطبيعة حاله على الجنس الملون.

وفي الفترة اللاحقة، خدمت هذه النظرية الفاشية الهتلرية، وما زالت اليوم مسخرة لمن يمارسون سياسة التمييز العنصري. ماذا يبيّن ذلك؟

طبعا، إن للإنسان النقاط المشتركة مع الكائنات الطبيعية والبيولوجية الأخرى.

مثلا إن الإنسان أيضا، شأنه شأن كافة الأشياء، مؤلف من المواد. يتكون جسم الإنسان من الماء والبروتين والدهن والكربوهدرات والملوح اللاعضوية، وبتعبير أدق، الأكسجين والكربون والهيدروجين والأزوت وغيرها من العناصر. هذه العناصر كلها توجد لدى الأشياء الأخرى أيضا.

وبالنظر إلى الإنسان من حيث الكائن الحي، يتميز بالنقاط المشتركة مع الكائنات الحية الأخرى والنقاط المختلفة عنها على السواء. إن النقاط المشتركة هي مثلا أن الإنسان أيضا يخضع للإيض مثل الكائنات الحية الأخرى، أما النقاط المختلفة فهي امتلاك الإنسان الدماغ الراقي جدا بما لا يقاس مع الحيوان، واليدين المتحركتين بدقة

وغير ذلك، فضلا عن المشي واقفا على قدميه.

ولكن بمجرد هذه الفوارق من وجهة النظر البيولوجية، لا يمكن المعرفة بأسباب سيطرة الإنسان وحده على العالم وتحويله.

إذ أن الفوارق البيولوجية توجد بين الحيوانات أيضا. لو رأينا أن الإنسان يسيطر على العالم ويحوله نظرا لخصائصه البيولوجية، يقدر بأن الحيوان أيضا يمكن، حسب مدى درجة تطوره، أن يسيطر على العالم ويحوله على مستوى معين وإن كان ثمة فارق في تلك الدرجة.

ولكن من المعروف أن الحيوان، مهما كان راقيا، لا يستطيع أن يسيطر على العالم ويحوله حتى في أدنى مستوى.

لماذا استطاع البشر أن يكونوا بخلاف قرد أو قرد شبيه بالإنسان، ويظهروا إلى حيز الوجود على الكرة الأرضية؟ ذلك لأن الإنسان كان يعيش مشكلا المجتمع. ولذلك، فمن الضروري إيجاد خاصية الإنسان الفريدة من نوعها، التي لا تملكها الكائنات المادية الأخرى ما عدا الإنسان، من ناحية الوجود الاجتماعي.

إن فكرة زوتشيه هي تحديدا توضح أن الإنسان هو كائن اجتماعي، وانطلاقا من ذلك، تتجه نحو تفسير خصائصه الجوهرية.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل ما يلي:

"... يجب انطلاق البحث الفلسفي عن الإنسان في أي حال من الأحوال من منظور كونه كائنا اجتماعيا."

الإنسان كائن اجتماعي. هذا يعني أن الإنسان كائن يعيش ويعمل مشكلا علاقات اجتماعية ومجموعة اجتماعية. في عيش الإنسان وعمله مع إقامة العلاقات الاجتماعية، تكمن خصيصته الهامة التي تختلف اختلافا جوهريا عن الكائنات الطبيعية والبيولوجية الأخرى.

صحيح أن الإنسان يملك أنسجة عضوية راقية إلى أقصى حد، ولكن مهما بلغ من رقيها، لو لم يعش ويعمل بتشكيل المجموعة الاجتماعية وإقامة العلاقات الاجتماعية لما استطاع أن يتطور إلى كائن حال.

الإنسان كائن لا يسعه أن يبقى على وجوده ويتطور إلا في العلاقات الاجتماعية.

في أدق تحليل، يتطلب عيش الإنسان أولا الوسائل المادية اللازمة للأكل واللبس والسكن. لا يمكن كسب كل ذلك إلا بالعمل الاجتماعي. ذلك لأن كل ما يلزم لخلق الخيرات المادية، أي المعرفة والتقنية والخبرة وأدوات العمل كافة نتاج اجتماعي.

كل كفاءات الإنسان ومقدراته أيضا لا تتشكل ولا تتطور إلا في ظل التعليم الاجتماعي والممارسات، أي في العلاقات الاجتماعية.

يبدو أكثر وضوحا أن الإنسان لا يستطيع أن يحافظ على وجوده ويتطور إلا بشكل اجتماعي، وذلك على ضوء حقيقة أن تحويل العلاقات الاجتماعية مستحيل بإرادة الفرد وقوته، ولكنه ممكن تماما بالقوة الاجتماعية وحدها.

الإنسان هو وحده كائن اجتماعي في العالم.

طبعا، نرى من بين الحيوانات النمل والنحل وأمثالهما التي تبني العشوش وتقوم بعمليات الأكل بصورة مشتركة، عائشة على شكل قطعان بموجب النظام المعين. لكن العلاقات القائمة في قطعان الحيوان تشكلت عفويا في سياق النشوء البيولوجي، وهو ما يحافظ عليه عشوائيا بفعل الغريزة. وأكثر من ذلك، ليست تلك العلاقات ظروفا للتغلب على قيود العالم المحيط بها مثلما يفعل الإنسان، ما عدا كونها وسيلة ثانوية هادفة إلى التكيف مع البيئة الطبيعية.

وخصوصا، تختلف العلاقات الاجتماعية اختلافا جذريا عن علاقات الحيوان في القطعان، نظرا لأن العلاقات الأولى يقيمها الإنسان ويحافظ عليها ويغيرها عن وعي ضمن هدف محدد.

هنا، قد يُطرح سؤال حول ما إذا كانت فكرة زوتشيه لا تقدم أول رأي قائل بأن الإنسان هو كائن اجتماعي.

صحيح أن مبدعي الماركسية أيضا استخدموا مفهوما عن الكائن الاجتماعي. لكن كلام الكائن الاجتماعي، الذي استخدموه هو مفهوم يعني الظروف المادية والعلاقات الاقتصادية في الحياة الاجتماعية، التي تتواجد موضوعيا، وتنعكس على الوعي الاجتماعي. قسّم مبدعو الماركسية المجتمع إلى ما هو مادي وما هو روحي. هذا وأدرجوا ما يشكل جانبا ماديا من جوانب المجتمع في المفهوم عن الكائن الاجتماعي، وما يشكل جانبا روحيا من جوانب المجتمع في المفهوم عن الوعي الاجتماعي. كما أنهم قاموا بصياغة المبدأ الانطلاقي القائل بأن الكائن الاجتماعي يحدد الوعي الاجتماعي.

بما أن الماركسية رأت في الإنسان عنصرا من عناصر القوة المنتجة، يندرج الإنسان أيضا في المفهوم عن الكائن الاجتماعي في الفلسفة الماركسية. ولكن في هذه الحالة، ليس الإنسان كائنا اجتماعيا وحيدا، أي أنه ينضم إلى الظروف المادية والعلاقات الاقتصادية في الحياة الاجتماعية، ويوضع في نفس موقعها.

بخلاف ذلك، تستخدم فكرة زوتشيه المفهوم عن الكائن الاجتماعي، تمييزا له عن الكائن الطبيعي، أي أن الخيرات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية لا تندرج في الكائن الاجتماعي. والحالة هذه، يكون الإنسان هو وحده كائنا اجتماعيا في العالم، أي يطلق اسم الكائن الاجتماعي على

الإنسان الذي يعيش في العلاقات الاجتماعية.
بما أن الإنسان هو كائن اجتماعي، أصبح يملك خصائصه الجوهرية ألا وهي الاستقلالية والإبداعية والوعي.
فلنر من الآن واحدا فواحدا بشأن ذلك.

٣) الحرية أم العبودية؟

"ثقوا بأني لن أبدل حزني بالحياة العبودية". هذا ما قاله بروميتيوس بطل عمل المأساة بقلم الشاعر اليوناني القديم أسخيلس (٥٢٥ - ٤٥٦ ق.م).
حين خلق بروميتيوس ("إله حارس" للإنسان جلب النار إلى البشر في الميثولوجيا اليونانية) وأخوه أبيميتيوس الكائنات الحية على الأرض، حسب أمر زيوس إله الرعد، كان الناس يرتجفون بردا، لكونهم عراة. بعد أن بحث بروميتيوس في الأمر مع أخيه الصغير، قرر جلب النار إلى الناس، ولهذا فقد توجه إلى زيوس يطلب منه أن يدعه ينقل النار إلى الناس، لكنه قوبل برفضه. استاء بروميتيوس من تصرفه، إشفاقا على الإنسان، فقد اختطف النار التي كان من المقرر أن يستخدمها آلهة السماء وحدهم، ونقلها إلى البشر. منذ ذلك الحين، فتح أمام البشر سبيل إلى التمتع بالحياة المتمدنة.
بعد أن عرف زيوس هذا الأمر، استشاط غضبا، بحيث قيد بروميتيوس على أعلى قمة جبل صخري يقع في أقصى الدنيا ليتكبد ما لا يوصف من الآلام والشقاء. لكنه اعتقد أنه أدى عملا صحيحا ومن هنا فقد مقت زيوس، ظلوم الإنسان ومصدر كل أنواع شقاء البشر، وصارعه حتى النهاية غير عابئ بذلك العقاب القاسي.

لماذا، إذن، يكون الناس شغوفين اليوم أيضا بحكاية بروميتيوس حتى بعد مرور آلاف السنين على تأليف هذه الأسطورة من قبل الأقدمين اليونانيين؟

أ ذلك لأن بروميتيوس جلب النار إلى الإنسان حقا؟

من المعروف أن اكتشاف النار استأثر بأهمية هائلة في تطور حضارة البشرية، لكن النار اكتشفها الإنسان بنفسه واستعملها، وليس ما جلبه بروميتيوس الخرافي.

لماذا إذن؟

حين جاء الآلهة الآخرون إلى بروميتيوس عطفا عليه، ونصحوه بحني رأسه دون عصيان إرادة زيوس إله الرعد المريع، صاح بهم قائلا:

"يا زيوس إله الرعد، مهما كنت تعذبني، سيأتي حتما ذلك اليوم من فنائك. آه، لن تعرف ما هو الفارق بين السلطة والعبودية إلا بعد أن تتحول إلى حفنة من الرماد إثر الموت".

يختار بروميتيوس بحزم سبيلا إلى الحرية من بين سبيلين إما إلى الحرية وإما إلى العبودية.

ها هو ذا. يرى الناس في صورة بروميتيوس تطلعاته الصامدة وروح نضاله الصلبة اللتين يشق بهما طريق تقدمه متغلبا على كل أنواع الآلام والشقاء ضد الجور والظلم، ولذلك، يشيدون به.

يعيش الإنسان في البيئة الطبيعية والاجتماعية المعينة التي تعد ظروفا لا غنى عنها في حياته.

لكن الناس الذين يعيشون في فترة معينة من الفترات التاريخية يتعرضون للاستعباد والقيود الطبيعية والاجتماعية المشروطة بموجب مستوى تطور المجتمع المعني. مثلا، إن الإنسان يتأثر، في سياق عيشه، بالقيود الطبيعية، مثل التهديد والتخريب في أرواحه وحياته كالجفاف

والفيضان والعاصفة والزلزال، ونقص أسباب العيش والعمل المرهق، فضلا عن معاناته من الاستغلال والاضطهاد الطبقي والسيطرة والعبودية القومية في المجتمع الاستغلالي.

هذه القيود والاستعباد للطبيعة والمجتمع تؤثر تأثيرا سلبيا في بقاء الإنسان وتطوره.

لكن الإنسان لا يقبل ولا يتكيف على نحو أعمى لكل أنواع القيود والاستعباد من جانب هذا العالم الخارجي، بل إنه يمقتها ويرفضها.

أما الكائنات الحية الأخرى ولا سيما الحيوانات فهي لا تعي العالم الخارجي ونفسها، ولا تضع نفسها في تعارض مع العالم الخارجي، وبالتالي، تكون تابعة تماما للعالم المحيط بها.

إلا أن الإنسان يخوض النضال من أجل تحويل الظروف والبيئة الطبيعية والجغرافية السيئة إلى أخرى صالحة، بغية عيشه بحرية بعد تخلصه من قيود الطبيعة.

كما أنه يناضل ضد السيطرة والعبودية القومية والطبقية والأفكار والتكنولوجيا والثقافة البالية، لكي يحيا بحرية متخلصا من الاستعباد والقيود الاجتماعية.

يبين ذلك أن خصائص الإنسان الأصيلة هي سعيه للعيش بحرية ضد مختلف أنواع القيود والاستعباد من جانب الطبيعة والمجتمع، لا تبعية للعالم المحيط به.

أصدرت فكرة زوتشيه تعريفا منطقيا لخصائص الإنسان هذه بالاستقلالية.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل ما يلي:

"الاستقلالية هي خاصية الإنسان الاجتماعي الذي يريد أن يحيا

ويتطور على نحو مستقل من حيث هو سيد العالم وسيد مصيره."

الإنسان كائن ذو استقلالية، كائن اجتماعي مستقل يتميز عن كافة الكائنات الطبيعية الأخرى. بما أن الإنسان يملك الاستقلالية، يعارض كل أنواع القيود والاستعباد للطبيعة والمجتمع ويجعل كل الأشياء مسخرة له.

أما الكائنات الحية الأخرى فهي تعيش بأسلوب تكيفها مع العالم الخارجي. ولذلك، يفنى ما لا يكيّف نفسه مع البيئة المحيطة به.

لكن الإنسان يعيش بأسلوب استخدام العالم المحيط به لصالحه، نظرا لأنه يملك الاستقلالية.

بما أن الإنسان يستخدم الطبيعة لنفسه، يستطيع أن ينتج وسائل الحياة بسخاء، ويرفع مستوى حياته. كما أنه يخلق وسائل العمل التي تستعيض عن قوته وتضاعفها، ويزيد من تطويرها، وبذلك، يتخلص من العمل الشاق والمضني ويجعل العمل أمرا مرحا ومبتهجا.

هذا ويقوم الإنسان بتغيير المجتمع أيضا لكي يخدم الحياة الجماعية، الحياة المشتركة بصورة أفضل. ويعارض الإنسان الاضطهاد السياسي والاستغلال الاقتصادي اللذين تفرضهما إحدى الطبقات أو الأمم على طبقة أو أمة أخرى، ويمضي في إقامة وتطوير العلاقات الاجتماعية التي تتحقق فيها المساواة التامة لأفراد المجتمع، ويجعل العلاقات الاجتماعية الجديدة تخدم نفسه بصورة أفضل.

هكذا فإن خصيصة الإنسان الأصيلة التي تختلف عن الوجود الطبيعي هي السعي إلى استخدام الطبيعة والمجتمع لنفسه، فضلا عن معارضة كل أنواع القيود والعبودية.

الاستقلالية هي أهم خصائص الإنسان التي تحدد ماهيته، بحيث يمكن

القول إنها شرط أولي لحياة الإنسان بما هو كائن اجتماعي.

حين نقول إن الاستقلالية هي حبل حياة الإنسان، نقصد حياته الاجتماعية والسياسية.

يملك الإنسان الحياة الاجتماعية والسياسية إلى جانب الحياة الجسدية. إذا كانت الحياة الجسدية هي حياة الإنسان بما هو من المتعضيات، فإن الحياة الاجتماعية والسياسية هي حياة الإنسان بما هو كائن اجتماعي.

لا يمكن حفظ حياة الإنسان الاجتماعية والسياسية دون الاستقلالية. إذا كان المرء تابعا للآخر فاقدا استقلاليته، فإنه لا يختلف عن الميت بكونه إنسانا اجتماعيا، رغم بقائه على قيد الحياة. ومن هنا، نقول إن الاستقلالية هي روح حياة الإنسان بما هو كائن اجتماعي.

مفهوم الاستقلالية يستخدم عادة كمفهوم اجتماعي وسياسي أيضا يعبر عن روح حياة البلاد والأمة، لا كمجرد مفهوم يحدد خصائص الإنسان الأساسية فقط.

استقلالية البلاد والأمة تعني خصيصة قيامها بتقرير مصيرها بنفسها وصنعه بقوتها الذاتية.

كما تكون الاستقلالية روح حياة الإنسان، كذلك تكون روح حياة البلاد والأمة. هذا يعني أن الاستقلالية خاصية أساسية تتيح للبلاد والأمة أن تبقى كمجموعة اجتماعية مستقلة، ومنبع من شأنه أن يحقق ويحفز توطيد وتطوير البلاد والأمة.

ولكن من الضروري، عند فهم الاستقلالية، إدراك بعض المسائل إدراكا صائبا.

أهم شيء منها هو أنه لا يجوز فهم الاستقلالية كما لو أنها وجود في جسم الإنسان.

ليست الاستقلالية أي نوع من الوجود. امتلاك الإنسان للاستقلالية يجد تعبيرا عنه في امتلاك المطالب المستقلة وممارسة النشاطات المستقلة.

إن المطالب المستقلة تعني مطالب الإنسان للعيش والتطور بكونه سيد العالم وسيد مصيره، دون التعرض لأي سيطرة أو عبودية، أي مطلبه للعيش متمتعا بالحياة المادية الرغيدة بعد تخلصه من قيود الطبيعة، ومطلبه للتطور مع العيش بألفة في ظل المساعدات المتبادلة بكونه فردا من أفراد المجتمع المتساوين بعد تحرره من العبودية الاجتماعية، ومطلبه للتمتع بالحياة الفكرية والثقافية السامية والمتمدنة والجميلة بعد انعتاقه من كل أنواع الأفكار المغلوطة والجهل والظلام.

المطالب المستقلة تطرح كمطالب مستقلة للجماعة وأخرى للأفراد، لأن الإنسان هو كائن اجتماعي وجماعي.

المطالب المستقلة للجماعة هي المطالب المشتركة لأفراد الجماعة من أجل بقاء الجماعة الاجتماعية وتطورها.

يعيش ويعمل الإنسان مع تشكيل جماعة اجتماعية. دون تشكيل الجماعة، لا يمكن للإنسان أن يكون إنسانا اجتماعيا. دون الجماعة، لا يوجد الأفراد، ودون تطور الجماعة، لا يمكن صياغة مصير الأفراد. ومن هنا، يقتضي كل فرد من أفراد الجماعة أن يحافظ على الجماعة الاجتماعية وتتطور بصورة أفضل.

هكذا فإن المطالب المشتركة لكل فرد من أفراد الجماعة من أجل بقاء الجماعة الاجتماعية وتطورها تسمى بالمطالب المستقلة للجماعة.

المطلب المستقل لفرد من الأفراد هو مطلبه بكونه عضوا متساويا للجماعة الاجتماعية، ومطلب يستحق تلبيته لإسهامه في الجماعة الاجتماعية.

المطلب المستقل للأفراد يختلف اختلافا جذريا عن الطمع الفردي. المطلب المستقل للأفراد مطلب يضع مصلحة الجماعة الاجتماعية في المقام الأول ويوفق بين مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد ويسعى إلى تحقيق مصلحة الفرد وسط مصلحة الجماعة.

لكن الطمع الفردي مطلب خاطئ يستهتر بالجماعة ويضع مصلحة الفرد في تعارض مع مصلحة الجماعة ويضع مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة ويسعى إلى إخضاع كل شيء لمصلحة الفرد. ولذلك، يختلف الطمع الفردي اختلافا تاما عن المطلب المستقل للفرد، ولا يمت بأي صلة إلى المطلب الجوهري للإنسان.

لا يتحقق المطلب المستقل للجماعة والآخر للفرد على أفضل وجه إلا من خلال الجماعية. ذلك لأن المطلب الأساسي للجماعية يتلخص في إعطاء الأولوية لمطلب الجماعة ومصلحتها، وفي الوقت نفسه، بذل عناية كافية لكل فرد من الأفراد. من شأن الجماعية وحدها أن توطد تلاحم الجماعة وتعاونها وترفع الحماسة الخلاقة لجميع أفراد الجماعة وتحقق المطلب المستقل للجماعة والآخر للفرد على السواء بشكل واف عن طريق المزاوجة الصائبة بينهما.

هكذا فإن الإنسان الذي يملك المطلب المستقل ويعارض كل أنواع العبودية والقيود ويناضل من أجل صيرورته سيدا للعالم ومصيره هو تحديدا كائن اجتماعي ذو استقلالية.

خلاصة القول إن حياة الإنسان هي في جوهرها سياق تحقيق الاستقلالية.

والشيء الهام الآخر في الفهم الصائب للاستقلالية هو أنه لا يجوز فهمها كـ"ذاتية" الفرد أو "حرية إرادته"، التي تؤكد عليها بعض

الفلسفات البرجوازية وخصوصا، الفلسفة من رتبة الوجودية.

إن ما تنادي به بعض الفلسفات الوجودية من "ذاتية" الفرد أو "حرية إرادته" ليس سوى الانغماس الذاتي البرجوازي الذي يدعو الإنسان إلى أن يرفض كل تأثيرات البيئة الاجتماعية ويعقد عزيمته ويتصرف على هواه حسب مجرد إرادته الذاتية.

إن الفرد المنعزل عن المجتمع و"ذاتية" الفرد و"حرية إرادته" الخاليتين من أي تأثير اجتماعي، لا يمكن أن تبقى إلا في خيال مثالي.

في المجتمع الرأسمالي، لا يوجد في الواقع إنسان يخرج عن سيطرة الرساميل ولا يتأثر بالعلاقات الاجتماعية الرأسمالية.

إن الحديث عن "ذاتية الفرد" و"حرية إرادته" اللتين لا تتعرضان للتأثير الاجتماعي في المجتمع الرأسمالي ليس إلا سفسطة تضفي الشرعية على الأنانية الفردية والليبرالية وتدافع عن النظام الرأسمالي.

ومن الضروري إجادة فهم العلاقات المتبادلة بين الاستقلالية والحرية أيضا.

الاستقلالية هي صفة الإنسان التي تنطوي على الحرية في كنفها. أصلا، إن كلمة الاستقلالية تعني صيرورة المرء بنفسه سيدا بكل ما في حروفها الكورية من معنى.

صيرورة الإنسان سيدا لأي شيء تعني أنه يصبح قادرا على إخضاعه لمطلبه دون أي قيود ومعالجته بما يتلاءم مع مصلحته.

والحرية هي على وجه العموم مفهوم يعني حالة متخلصة من أي عبودية وقيود. والحياة المستقلة بكونها تجليا للاستقلالية لديها نقطة مشتركة مع الحرية من حيث هي حياة لا تسمح بأي عبودية وقيود.

إلا أن للاستقلالية خصيصة تختلف عن الحرية أيضا. إذا كانت

الاستقلالية خصيصة الإنسان الجوهرية، فإن الحرية هي حالة عيشه. إن خصيصة الإنسان الساعية للعيش بحرية تسمى بالاستقلالية.

٤) صورة الإنسان في ضوء العلوم والتكنولوجيا

العصر الحالي هو عصر العلوم والتكنولوجيا. بعد وقوع الثورة التقنية الأولي في القرن الثامن عشر، مر البشر بالثورتين التقنيتين الثانية والثالثة، ولكن لم يعرفوا مثيلا لتطور العلوم والتكنولوجيا بالسرعة القصوى كما هو عليه اليوم.

بفضل تطور العلوم والتكنولوجيا المدهش، يتنامى الاقتصاد بوثبات سريعة ويطرأ تغير عظيم على صورة حياة الإنسان.

إن ما تمارسه العلوم والتكنولوجيا من القوة التأثيرية في الميادين الاجتماعية والسياسية وتنمية الاقتصاد وفي كل ركن من أركان حياة الأفراد، يتعاظم إلى أبعد الحدود لدرجة أن كلمة "صناعة المعلوماتية" تدور على ألسنة جميع الناس. الأشياء الكثيرة التي كان الإنسان يتخيلها في أذهانهم فقط تنتقل إلى أرض الواقع، وتتقدم البشرية نحو المستقبل بسرعة متزايدة.

إذن، ما هي الصلة بين تطور العلوم والتكنولوجيا وإدراك ماهية الإنسان؟

جاء في القاموس تعريف للعلوم والتكنولوجيا كما يلي:

"العلم هو نظام المعارف عن جوهر الأشياء والظواهر وقوانين تغيرها وتطورها. أما التكنولوجيا فهي تختلف عنه بمعنى أنها معارف ووظائف متعلقة بطرق تحويل الأشياء والظواهر بالاستفادة من قوانين العلوم، ووسائل عمل لذلك."

كما هو معروف من هنا، تبيّن العلوم والتكنولوجيا خصائص الإنسان في إدراك وتحويل الطبيعة والمجتمع ألا وهي أحد جوانب الكائن المسمى بالإنسان.

يقوم الإنسان بتحويل ما هو قديم من الأشياء والظواهر في العالم المحيط به، ويصنع ما هو جديد بالاستفادة من العلوم والتكنولوجيا.

فيما يتعلق بخصيصة الإنسان لتحويل الأشياء والظواهر في العالم المحيط به وصنع ما هو جديد، تعرض فكرة زوتشيه تعريفا لها ب"الإبداعية".

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل ما يلي:

"الإبداع هو خاصية الإنسان الاجتماعي في تحويل العالم وصياغة مصيره الخاص بصورة هادفة وواعية."

الإنسان كائن ذو إبداعية، كائن اجتماعي إبداعي فريد من نوعه في العالم.

الإبداعية هي إحدى خصائص الإنسان الجوهرية، إلى جانب الاستقلالية، أي أنها، شأنها شأن الاستقلالية، صفة أصيلة للإنسان، ولا تملكها إطلاقا الكائنات الحية الأخرى.

الخصيصة الإبداعية لا توجد بتاتا في الكائنات الحية الأخرى مثل الحيوان. مهما كان الحيوان راقيا، لا نجده يحول الأشياء لاستعمالها.

كثيرا ما نرى الحيوان يعمل باستخدام الأشياء المحيطة به كالنحل التي تبني الخلايا من المواد المفرزة من نفسها أو الطيور تبني أعشاشها بجمع الأعشاب وأغصان الأشجار والتراب، لكن ذلك لا يمكن اعتباره إبداعا. إذ أن الإبداع يعني صنع شيء جديد بكل معنى الكلمة، لكن نشاط الحيوان لا يسعى إلى تحويل شيء قائم أو صنع آخر جديد. تدل على ذلك حقيقة أن هذا النشاط أو ذاك من نشاطات الحيوانات التي تبدو كما لو أنها إبداعية، ظل روتينيا من حيث

طريقته، رغم تغير الظروف والبيئة ومرور حقبة طويلة من الزمن.

إلا أن طريقة نشاط الإنسان تتطور أكثر فأكثر مع مرور الزمان، لأنه يملك إبداعية بخلاف الحيوان.

لنأخذ طريقة الزراعة على سبيل المثال.

في بداية تاريخ البشر، كان الناس يعيشون أساسا على جمع النبات وصيد الحيوان، ولكنهم وجدوا أنفسهم عاجزين أبدا عن حل مسألة الأكل بتلك الطريقة ولذا فقد راحوا يزاولون الزراعة. تكون ثمة معلومة تفيد أن البشر القدماء بدأوا بزرع المحاصيل الزراعية قبل ١٠ آلاف سنة من الآن.

منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا، تغيرت تلك الطريقة باستمرار إلى أن ظهرت حتى طريقة الزراعة دون التراب والتي تختلف كل الاختلاف عن طريقة الزراعة التقليدية. هكذا، يستطيع الإنسان وحده أن يمضي باطراد في استبدال ما هو قديم بآخر جديد.

لا يقتصر الإنسان على مجرد تبديل القديم بالجديد، بل إنه يصنع شيئا جديدا لم يكن ثمة البتة في الدنيا.

من الأمثلة على ذلك تطور علم النانو وتقانته واستخدامهما، وإقامة المجتمع الأول من نوعه في تاريخ البشر، أي ظهور المجتمع الاشتراكي الذي يتلاءم مع طبيعة الإنسان المستقلة.

إذن، لماذا يكون الإنسان وحده كائنا ذا إبداعية؟

ذلك لأن الإنسان وحده يملك قدرة إبداعية. هذه القدرة الإبداعية تعني ما اكتسبه الإنسان في سياق الممارسة الاجتماعية من المعارف العلمية والتقنية والتجارب والكفاءات وغيرها. بكلام سهل، تعني القدرة الإبداعية قوة الإنسان القادرة على تحويل الطبيعة والمجتمع ليكونا نافعين وصالحين له أكثر فأكثر عن طريق تغيير القديم وصنع الجديد.

وبما أن الإنسان يملك قدرة إبداعية، يستطيع أن يغير الأشياء القائمة في العالم المحيط به بما يتلاءم مع مطلبه الحياتي، أو يصنع أشياء جديدة.

يكون ثمة في الدنيا كثير من الحيوانات الأكبر والأقوى بكثرة من الإنسان، مثل الحوت والفيل، وكذلك الحيوانات الأكثر رشاقة منه بما لا يقارن، مثل النمر والأسد، إلا أن الإنسان يكون أقوى كائن، وهو ما يعزي بدرجة هامة إلى قدرته الإبداعية.

الأساس في قدرة الإنسان الإبداعية هو العلوم والتكنولوجيا.

إن التطور الملحوظ الراهن للعلوم والتكنولوجيا يكون دليلا ساطعا على أن الإنسان هو أقوى كائن في العالم.

حقا إن تطور العلوم والتكنولوجيا الحالي يبعث على الدهشة الفائقة.

بناء على المعلومات، جاءت النجاحات العلمية العشرة في عام ٢٠٠٨ ألا وهي بدء تشغيل المسرع على شكل اصطدام الهدرون، والهبوط الناجح لجهاز تنقيب المريخ "الفونيكس"، واختراع الصبغيات (الكروموسومات) الاصطناعية الأولى من نوعها في العالم، واكتشاف الكواكب السيارة غير المعروفة، وصنع المعطف غير المرئي، واستبيان ٨٠ بالمائة من خارطة جينوم الماموث، واكتشاف القبر العائد إلى ما قبل ٤٦٠٠ سنة من الآن وغيرها.

ونشرت المجلة في أحد البلدان النجاحات العلمية العشرة في عام ٢٠١٠ وهي تصميم أجهزة الآلة التي تعمل على نطاق الكمّ، وظهور البيولوجيا المركبة، وقياس جينوم النياندرتالية (إمرأة ترقى إلى حوالي ٤٠ ألف سنة، عثر عليها في كرواتيا)، وابتداع دواء هيب الوقائي الجديد، واكتشاف الطفرة الجينية بقياس ترتيب أكسون، والنجاح في ملاحظة حركة الذرة في داخل البروتين باستخدام الحاسوب الفائق، وصنع جهاز الكمّ الصوري،

وابتداع الجيل الجديد التالي من تقانة قياس ترتيب الجينوم، وتركيب الحامض الريبي النووي، وابتداع تقانة استخدام الجرذ في الاختبارات.

حدث أن سأل أحد كما يلي: تقول فكرة زوتشيه بأن الإنسان أقوى كائن في العالم، ولكن لكي يتبرهن ذلك في الواقع، ما زال يحتاج إلى الوقت الطويل، أليس كذلك؟ يكون ثمة في العالم عدد غير قليل من الكائنات الحية التي تحتضر. أليس الإنسان أيضا يفنى مثلها في أي وقت من الأوقات؟ نطاق العالم المحيط بالإنسان الذي فتحه حاليا يكون تافها، والكون فسيح لا حدود له ...

بالطبع، انقرض الكثير من الكائنات التي كانت في غابر الزمان، وتلك التي ما زالت تتلاشى اليوم ليست واحدة أو اثنتين. بما أن الحيوان لا يملك قدرة إبداعية ولا يقدر على الإبداع، لا يستطيع أن يتغلب على تأثيرات البيئة الطبيعية.

إلا أن الإنسان لم يحتضر ولم يتدهور، بل إنه لا يني يتطور منذ ظهوره إلى حيز الوجود، وسيتطور إلى الأبد في المستقبل أيضا، لأنه يملك قدرة إبداعية متنامية بسرعة متزايدة وبما لا حدود له.

في أوائل القرن الحادي والعشرين، تنبأ العلماء في فرع لندن التابع لشركة "بريتيش تليكومنيكاشيون" البريطانية التي تبتدع تقانة حقل الاتصالات البعيدة المدى والهندسة الإلكترونية بأن ما سيتحقق في القرن الحالي من الاختراعات العلمية والمنجزات البحثية الجديدة هو كالآتي:

- في عام ٢٠٢٠، ستظهر أجهزة التلفاز ذات الصور المجسمة المستخدمة لتقانة الهلوغرام.

- في عام ٢٠٢٥، سيتصل ذهن الإنسان بالكمبيوتر، ويتشكل "المجتمع الإلكتروني".

- في عام ٢٠٣٠، سيظهر الروبوت الإنسان ذو الذهن المماثل لذهن أينشتاين.

- في عام ٢٠٣٢، سيتم تلقيم كل ما في مكتبة الكونغرس الأمريكي من المعلومات الوثائقية في الجهاز الإلكتروني بحجم السكر المكعب.

- في عام ٢٠٣٥، سيظهر معجون الأسنان المصنوع باستخدام تقانة النانو، وبالتالي سيعمل ما في هذا المعجون من الروبوتات المنتهية في الصغر بحجم الجزيء على إزالة قلاح الأسنان وتسوسها.

- في عام ٢٠٤٠، سيتم إدخال تقانة الاندماج النوويحراري في إنتاج الطاقة، حتى ينخفض سعر الكهرباء.

- في عام ٢٠٧٥، سيتم ابتكار طريقة إزالة "الجدار" الوقتي مثل إمكانية الإنسان من الانتقال من الحاضر إلى المستقبل، ومن المستقبل إلى الحاضر.. الخ.

- في عام ٢١٠٠، سيتم اختراع تقانة المحافظة على شخصية الإنسان حتى بعد وفاته عبر برمجتها بالكمبيوتر حتى تبقى خالدة في العالم الإلكتروني.

مع التطور الملحوظ للعلوم والتكنولوجيا الحديثة، سيتقدم الإنسان نحو المستقبل، مظهرا ملامحه بكل وضوح بكونه كائنا إبداعيا.

٥) الكائن الاجتماعي الواعي

يملك الإنسان الوعي، إلى جانب الاستقلالية والإبداعية.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل ما يلي:

"الوعي هو خاصية الإنسان الاجتماعي التي تحدد كل نشاطاته

لإدراك العالم وإدراك نفسه وإعادة تكوينهما."

الإنسان كائن اجتماعي واع، فضلا عن كونه كائنا اجتماعيا مستقلا وإبداعيا.

لا يني الإنسان يقوم دون توقف بالنشاطات الهادفة إلى إدراك العالم المحيط به وإدراك نفسه وتحويلهما، وإن كل لحظة من لحظات نشاطاته وكل مناسبة من مناسباتها مرتبطة بالوعي. شرحنا آنفا أن الإنسان يملك الاستقلالية والإبداعية، وإن الوعي تحديدا يضمن هاتين الاستقلالية والإبداعية للإنسان بما هو كائن اجتماعي، وكذلك نشاطات الإدراك والتطبيق التي تنسجم مع هدفيهما.

لنر ذلك بالتفصيل.

يدرك الإنسان قبل كل شيء العالم المحيط به، ونفسه بواسطة وعيه.

إذا أراد مثلا استخراج الحديد من خاماته، فإنه يسعى لإدراك درجة حرارة انصهار خامات الحديد وكيفية استخراج عنصر الحديد من خاماته وكيفية معالجته حسب هدف استعماله.

هذا ويخطط الإنسان نشاطاته بفعل وعيه.

يحدد كل إمرؤ، كائنا من كان، هدف أفعاله بوضوح على أساس إدراك مطالبه ومصالحه، ومن بعد، يختار الوسائل والسبل لتحقيق هدفه. حين يتعامل الإنسان مع أي شيء، يفكر فيما إذا كان صالحا لحياته أم لا، وكيف يجعله نافعا لها، وهذا ما يبيّن أن الإنسان يملك الوعي.

كما أن الإنسان، بموجب الوعي، يضبط نشاطاته بما يتلاءم مع الظروف الواقعية المتغيرة ويسيطر على نفسه حتى يتغلب على المصاعب والعقبات المصطدمة به.

بالطبع، نجد في نشاطات الإنسان أيضا ما ينطلق من الجانب

البيولوجي. مثلا إن الأكل أو النوم هو فعل من الأفعال الهادفة إلى تحقيق الشيء البيولوجي، أي المطلب الغريزي. لكن الإنسان، لامتلاكه الوعي، يعرف كيف يتحمل الجوع ويتغلب على النعاس الشديد، بغية تحقيق غرضه. وحين نشأت أية صعوبة على طريق تقدمه، يبحث عن سبيل التغلب عليها ويظهر شجاعة.

خلاصة القول إن الإنسان، بفعل وعيه، يدرك مطالبه المستقلة ويقوم بنشاطاته الخلاقة بصورة واعية وهادفة بما يتلاءم معها.

ولذلك، حينما نظهر درجة عالية من الوعي، تجري كل نشاطاتنا بنجاح أكبر.

الوعي هو ما ينفرد به الإنسان، مثل الاستقلالية والإبداعية.

ليس ثمة لدى الحيوان وعي. طبعا، إن الحيوان أيضا يعيش ويعمل، لكن ذلك يأتي بموجب غريزته البيولوجية فقط. إن الأكل والنوم، والفرار عند مواجهة الخصم المفترس، ونسج العنكبوت بيتها لصيد الحشرات، وبناء الطير عشه وغيرها كافة أفعال ناشئة من الغريزة البيولوجية.

لا يدرك الحيوان الأشياء والظواهر ولا يتعرف على مبادئها. وبالتالي، لا يمكنه أن يحولها وعلى الأخص، لا يضبط ويسيطر على نفسه بما يتلاءم مع الوضع المتغير.

إن الإنسان وحده يستطيع أن يضبط ويسيطر على كل أفعاله، لأنه يتميز بالوعي.

أما الوعي فهو أرقى وظيفة من وظائف الدماغ الأكثر تطورا من أعضاء الإنسان. يؤدي دماغ الإنسان دورا محوريا في العمليات الحيوية، والوعي وهو وظيفة الدماغ يقود كل نشاطات الإنسان.

يتكون الوعي من الوعي الفكري والمعرفة من حيث مضمونه. ومن

بينهما، يحدد الأول نشاطات الإنسان ويضبطها ويسيطر عليها مباشرة نظرا لإنه يعكس مطالب الإنسان ومصالحه.

هكذا، فإن الوعي هو بالتحديد صفة الإنسان الذي يضبط ويسيطر على كافة نشاطاته بدافع من الشعور.

لكي نفهم ماهية الوعي، ونعرف لماذا يكون فريدا لدى الإنسان، نحتاج إلى تناول غريزة الحيوان بعض الشيء.

بما أن غريزة الحيوان تتميز ببالغ التعقيد، توحي لأول وهلة كما لو أنها هادفة وواعية للغاية في حالات بعض الحيوانات. إلا أن هذه الغريزة لا ترتكب العيوب في ظل الظروف الثابتة وحدها، ولكن الغريزة تظهر آليا فور تغير الظروف، حتى ترتكب عيوبا.

فمن الواضح أن أفعال الحيوان تجري حسب غريزته، لا بموجب وعيه. تأتي أفعال الحيوان، كائنا ما كانت، نتيجة لتكيفه مع ظروف وجوده المعينة ردحا طويلا من الزمن، فليست أفعاله إلا رد الفعل الفطري واللاشعوري على تأثيرات البيئة والظروف الخارجية.

بخصوص فهم الوعي، من الضروري التأكيد على كونه خاصية الإنسان التي تتشكل وتتطور عبر التاريخ الاجتماعي، شأنها شأن الاستقلالية والإبداعية.

إن خاصية الإنسان الذي يقوم بأفعاله على نحو مستقل وإبداعي بواسطة وعيه الفكري ومعارفه، لا تنتقل إطلاقا بالوراثة من الجيل السابق. هذا واضح بما لا يدع مجالا للجدل، إذا فكرنا أن الإنسان لا يستطيع أن يكسب هذا أو ذاك من الأفكار والمعارف العلمية والتقنية إلا من خلال مجرى التعليم والممارسات الاجتماعية.

كما هو مبحوث سابقا، تم إكمال أعضاء الإنسان الجسدية بحد ذاتها

كما هي عليه اليوم، في سياق التعاون الاجتماعي. وصار تطور دماغ الإنسان ممكنا في سياق العمل الاجتماعي، أي أن الوعي هو ما تشكل وتطور عبر التاريخ الاجتماعي، وخصيصة منحها المجتمع للإنسان، فضلا عن الاستقلالية والإبداعية.

إذا قمنا بتلخيص كل ما ذكرناه أعلاه، نتوصل إلى الاستنتاج بأن الاستقلالية والإبداعية والوعي خصائص مميزة لا يملكها إلا الإنسان وهو الكائن الاجتماعي. ليس في الدنيا كائن ذو استقلالية وإبداعية ووعي إلا الإنسان، لأنه هو وحده كائن يعيش بتشكيل المجتمع.

هكذا، بما أن الإنسان هو كائن اجتماعي ذو استقلالية وإبداعية ووعي، فإنه يسيطر على العالم ويحوله ويطوره، وأبعد من ذلك، يغدو سيدا لمصيره، وكائنا مقتدرا يصنع مصيره بيديه.

٤ـ النظر إلى العالم باتخاذ الإنسان محورا له

تناولنا أعلاه أن الإنسان هو كائن اجتماعي ذو استقلالية وإبداعية ووعي.
من الآن، نتطرق إلى الرأي في العالم والنظرة إليه والموقف منه.
يعني الرأي في العالم جوابا عن المسائل المتعلقة بكيفية تشكل العالم ككل، وكيفية تغيره وتطوره، وتعني النظرة إلى العالم والموقف منه جوابا عن مسألة أي موقف يتخذ عند التعامل مع العالم.
توضح فكرة زوتشيه الرأي في العالم والنظرة إليه والموقف منه، بعد وضع الإنسان في مكان سيد العالم.
يمكن تقسيم ذلك أساسا إلى جزئين، أحدهما الرأي المتمحور على الإنسان في العالم، والآخر النظرة إلى العالم والموقف منه بالارتكاز على الإنسان.
لنرهما واحدا فواحدا.

١) العالم يسيطر عليه الإنسان ويحوله

يبني الإنسان حياته وسط العالم. هذا يعني أن الإنسان يرى على الدوام شيئا ما في الطبيعة والمجتمع ويملك رأيا معينا فيه ويبدي أي موقف منه. لكن رأي الإنسان وموقفه من الأشياء والظواهر الفردية يشترطان دائما الرأي والنظرة الأكثر عمومية إلى العالم ككل (راجع الفصل الأول من الباب الأول "منارة في حياة الإنسان").

وبالتالي، إذا أراد الإنسان أن يرى أي شيء ويعامله على نحو صحيح، فمن واجبه أن يملك، قبل كل شيء، الرأي والنظرة الصائبين إلى العالم المحيط به، القائمين على وجهة النظر حول العالم.

توضح فكرة زوتشيه الرأي في العالم، على أساس إيضاح خصائص الإنسان الجوهرية.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل ما يلي:

"أما أن العالم يسيطر عليه الإنسان وهو يتحول من قبله، فتلك وجهة نظر جديدة عن العالم اتضحت في العلاقات مع الإنسان."

هل ربما حدث أن يفكر القراء فيما يلي:

متى خرجت كلمتا السيطرة والتحويل إلى الوجود؟ لعل هاتين الكلمتين لا تهمان الناس لأول وهلة، لأنهما لا تستخدمان كثيرا في حياتهم اليومية. لكنهما تستأثران بأهمية كبيرة، إذ أنهما ترتبطان ارتباطا مباشرا بحياة الإنسان نفسه.

لا يمكن تحديد وقت ظهورهما بالضبط، ولكن الواضح هو أنهما كانتا آخذتين بالاستخدام منذ ظهور الإنسان إلى حيز الوجود.

أما العالم قبل ولادة الإنسان على الكرة الأرضية فيعني الطبيعة وحدها. ففي الطبيعة، كانت شتى أنواع الأشياء والظواهر التي يختلف كل منها عن الآخر في طور تطوره وبنيته ووظيفته تقيم بينها العلاقات المتنوعة، فيما هي تتفاعل بعضها مع بعض. ومع ذلك، يمكننا أن نعرف عند ملاحظة هذه العلاقات أنها عفوية وتتفاعل على العمياني. ليس هنا إطلاقا خضوع أي شيء لشيء آخر أو تعديل شيء ما عن وعي ضمن هدف معين.

ولكن الأمر صار مختلفا منذ ظهور الإنسان إلى حيز الواقع، إذ أن الإنسان يقيم علاقات مبادرة وواعية وهادفة مع العالم المحيط به، لا

علاقات عفوية وعشوائية. ذلك المفهوم الذي يتضمن هذه العلاقات هو بالذات السيطرة والتحويل، أي أن عالم اليوم يسيطر عليه الإنسان ويحوله. بعبارة أخرى، تتحول الطبيعة والمجتمع إلى عالم يخدم الإنسان، بفعل نشاطات الإنسان المستقلة والإبداعية.

بادئ ذي بدء، لنأخذ الطبيعة مثلا.

يعيش الإنسان وسط الطبيعة، تربطه صلات وثيقة بالأشياء والظواهر المتنوعة في الطبيعة. لا يمكن للإنسان أن يعيش للحظة واحدة بعيدا عن الطبيعة، وإنما يتأثر ببيئة الطبيعة. لكنه ليس تابعا للطبيعة، بحيث يعيش عن طريق السيطرة على الأشياء والظواهر المتنوعة في العالم المحيط به واستعمالها. ومن خلال نشاطاته المستقلة والإبداعية، يسيطر على الطبيعة ويحوله.

بفعل نشاطات الإنسان، يتم كبح والتغلب على الأشياء والظواهر التي تلحق أضرارا كبيرة ببقاء الإنسان وتطوره مثل البرق والعاصفة، والتأثير التخريبي للقوة العشوائية. هذا ويجري، من قبل الإنسان، استخدام الأشياء والظواهر في الطبيعة والتي لم تكن مسخرة للإنسان، كوسائل إنتاجه وأسباب عيشه، مثل تحول الحيوانات والنباتات البرية إلى حيوانات داجنة ومحاصيل زراعية، واستخراج الخامات المعدنية والاستفادة منها.

إن المجتمع أيضا يسيطر عليه الإنسان ويحوله، فضلا عن الطبيعة. يجد ذلك تعبيرا عنه في تحول العلاقات الاجتماعية التي تنتهك استقلالية الإنسان إلى أخرى تضمن استقلاليته، نتيجة النضال النشط لجماهير الشعب، حتى تخدم الإنسان.

لا يمكن للإنسان ان يبقى حيا ولا يتطور بعيدا عن العلاقات الاجتماعية. يأتي تشكل العلاقات الاجتماعية وتطورها حسب القوانين

الموضـوعية، بغـض النظـر عـن إرادة النـاس الذاتيـة، وبالتـالي، يعيـق المجتمع تحقيق استقلالية الإنسان بهذا الشكل أو ذاك، ريثما لا يدرك تلك القوانين، ولا يسيطر عليها.

ما برحت العلاقات الاجتماعية تتحسن دون توقف طردا مع تطور وعي الإنسان الفكري المستقل وقدرته الخلاقة.

خيـر شـاهد علـى ذلـك الانتقـال مـن مجتمـع الـرق إلـى المجتمـع الإقطـاعي، ومـن المجتمـع الإقطـاعي إلـى المجتمـع الرأسـمالي، ومـن المجتمع الرأسمالي إلى المجتمع الاشتراكي. وبإقامة النظام الاشتراكي خاصة، صار الناس يديرون كل أوجه الحياة الاجتماعية بما يتلاءم مع إرادتهم ومطالبهم، ويأخذون زمام المبادرة في تطويرها.

لا غنى عن القول إن الإنسان يسيطر على العالم ويحوله، لأنه كائن اجتماعي ذو استقلالية وإبداعية ووعي.

رغـم أن العـالم كـان يتحـرك ويتغيـر ويتطـور خـبط عشـواء حسـب قوانينـه الذاتيـة، إلا أن مظهـره صـار يتحـول إلـى عـالم يسـيطر عليـه الإنسان ويحوله ويطوره، نتيجة لظهوره إلى حيز الوجود.

بهذا الخصوص، لا يمكن إهمال حالة مفادها أن العالم نفسه مؤلف من المواد، ويتحرك ويتغير ويتطور بموجب قوانينه الأصيلة.

إذا تحـرك العـالم مصـادفة علـى هـواه، فـلا يمكـن للإنسـان إطلاقـا أن يـدرك ذلـك العـالم، وبالتـالي، لا يسـيطر عليـه ولا يحولـه. يتغيـر العـالم ويتطـور حسـب قوانينـه الأصيلة، لا مصـادفة دون نظـام. لـذلك، يسـتطيع الإنسان أن يدرك القوانين الموضوعية، ويضبطها ويتحكم بها ويحولها.

فيمـا يخـص امـتلاك الـرأي فـي أن العـالم يسـيطر عليـه الإنسـان ويحوله، من الضروري مراعاة النقاط التالية.

عندما نتحدث عن كون العالم يسيطر عليه الإنسان، لا يعني ذلك أن العالم قد تشكل باتخاذ الإنسان محورا له. إذ أن العالم كان قائما قبل ظهور الإنسان، ولم يخلق قط باتخاذ الإنسان محورا له.

وحين نقول من جهة أخرى إن العالم يتحول من قبل الإنسان لا يعني ذلك أن كل التغيرات في العالم تحدث من قبل الإنسان.

قبل خروج الإنسان في الدنيا، ظلت الطبيعة تتغير وتتطور تلقائيا، حسب قوانينها الذاتية، ولا تني تلك العمليات تسير اليوم أيضا. أما العلاقات الاجتماعية فلا تتشكل على هواها، حسب رغبة الإنسان الذاتية، ولا سيما على أساس أية تعهدات. لكن الإنسان يحول العالم ويطوره، بمجرد إدراك قوانين الحركة هذه والاستفادة منها.

ما فتئ الناس في وقتنا هذا أيضا يعملون دون توقف على تعديل الأشياء والظواهر في العالم المحيط بهم، بما يتفق ومطالبهم، أو صنع أي شيء جديد. بالنتيجة، تنبثق المدينة الجديدة إلى الوجود، ويجري استثمار حقل النفط الجديد، وتتغير صور الجبال والأنهار يوما بعد يوم، بينما تصدر القوانين الجديدة وتتحسن العلاقات الاجتماعية.

نطاق سيطرة الإنسان على العالم وتحويله يتوسع أكثر فأكثر مع مرور الساعات والأيام.

٢) النظرة إلى القيم باتخاذ الإنسان محورا لها

نرى عادة أن نفس المعرفة تستخدم لأغراض طالحة أو صالحة حسب الإنسان، ويتخذ كل من الناس موقفا مختلفا إزاء الظاهرة الاجتماعية الواحدة.

مثلا إن تقانة الطاقة الذرية أسيء استخدامها أولا لصنع السلاح الفتاك الشامل من قبل الإمبرياليين، لا لحياة الناس المتمدنة، حتى سببت فظائع مريعة في هيروشيما وناغازاكي.

هذه هي نتيجة اختلاف نظرة الناس وموقفهم من العالم الواقعي.

إن ما يقرر اتجاه سلوك الناس ومبادئه هو نظرتهم وموقفهم الأكثر عمومية من العالم المحيط بهم.

ولذلك، إذا أراد الإنسان ان يدبر حياته الحقيقية فلا بد له من أن يحمل نظرة وموقفا صائبين من العالم.

إذن، أي نظرة وموقف يجب على الإنسان أن يحملهما؟

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل ما يلي:

"إن النظر إلى العالم مع اتخاذ الإنسان محورا له يعني النظر إلى العالم انطلاقا من مصالح الإنسان الذي هو سيد العالم.

وبما أن الإنسان هو سيد العالم، فالأولى به أن ينظر إلى العالم من زاوية مصالحه."

إن النظرة إلى العالم والموقف منه اللذين أوضحتهما فكرة زوتشيه هما نظرة إلى العالم وموقف منه بالارتكاز على الإنسان بما هو سيد العالم.

النظر إلى العالم باتخاذ الإنسان محورا له يعني، أولا، النظر إلى العالم انطلاقا من مصالح الإنسان وهو سيد العالم.

يعني ذلك ببساطة امتلاك النظرة إلى القيم باتخاذ الإنسان محورا لها، أي معالجة الأمر دائما من زاوية ما إذا كان صالحا للإنسان أم طالحا له، عند تقييم قيمة الأشياء والظواهر أو تأدية أي عمل.

طالما أن الإنسان هو سيد العالم، من الضروري أن ينظر إلى العالم من ناحية مصلحة الإنسان. قيام الإنسان بإدراك العالم وتحويله يهدف إلى جعل

جميع الأشياء في العالم مسخرة للإنسان. الإنسان هو أثمن ما في الدنيا، وليس ثمة في العالم شيء أغلى من مصالح الإنسان. لا تكون جميع الأشياء في العالم ذات قيمة إلا عندما تخدم الإنسان. لذا فإن النظر إلى العالم من ناحية جعله يخدم الإنسان على أفضل وجه هي أصح نظرة وموقف من العالم.

لنتطرق بمزيد من التفصيل إلى كيفية العمل للنظر إلى العالم انطلاقا من مصلحة الإنسان.

أهم شيء هو تقييم قيمة الأشياء والظواهر باتخاذ مصلحة الإنسان معيارا له، أي امتلاك النظرة إلى القيم باتخاذ الإنسان محورا لها.

تقييم القيم يعد مقدمة حتمية تستبق كل أفعال الإنسان. بعد أن يقيّم الإنسان قيم الأشياء والظواهر المعنية، يباشر بأفعاله انطلاقا من ذلك. بعبارة أخرى، يقرر موقفه من تلك الأشياء والظواهر وينتقل إلى فعل.

في العالم الرأسمالي، يتم قياس حتى شخصية الإنسان بمقياس المال وحده، ناهيك عن قيم كل الأشياء.

ما هي نتيجة ذلك؟

نشرت الصحيفة الكورية "رودونغ سينمون" بتاريخ ١٣ من حزيران عام ٢٠٠٨ مقالة بعنوان "مجتمع فاسد تذهب فيه حياة الإنسان ضحية الذهب" وفيما يلي جزء منها:

"قبل أيام، حدث الأمر المذكور أسفله في مدينة هيغاشي أوساكا من محافظة أوساكا باليابان. سارت سيارة الإسعاف جارية وسط المدينة المزدحمة، حتى دخلت مسرعة إلى باحة أحد المستشفيات. كانت السيارة تقل شخصا أصيب بالجروح الخطيرة قبل قليل من جراء حادثة المرور . ...

بعد أن <اطلع> مدير المستشفى على حالة الجريح الذي يتنفس

بصعوبة على عتبة الموت، رفض علاجه بكلمة واحدة قائلا إن مستشفاه يعوزه الأطباء. ...

... رفضت كل المستشفيات قبول هذا الجريح الخطير، ذلك لأنه لا يملك نقودا. أخيرا، لاقى الجريح حتفه حاقدا على العالم الملعون، دون أن يتلقى العلاج. مثل هذه المأساة ليست أمرا غريبا يذكر في اليابان. ..."

إن النظرة إلى القيم، التي ترتكز على الأموال تزرع الفساد بين الناس، حتى يتحولوا إلى وحوش لا تعرف إطلاقا الأخلاق والمودة الجديرة بالإنسان.

ولكن على النقيض من ذلك، تشهد كوريا خدمة جميع الأشياء في المجتمع لجماهير الشعب. في هذا البلد الذي تتجسد فيه فكرة زوتشيه، يجري تطبيق نظام العلاج المجاني العام.

ظل هذا النظام يطبق في كوريا منذ اليوم الأول من كانون الثاني/ يناير عام ١٩٥٣، حين كانت تمر بالحرب الطاحنة ضد العدوان المسلح من جانب الأعداء، والتي تقرر مصير البلاد والأمة. ففي الخمسينات من القرن الماضي، قضى في كوريا إلى الأبد على الرذائل الرأسمالية التي تتلاعب بأرواح الإنسان بالأموال، وذلك بفضل الزعيم العظيم كيم إيل سونغ الذي أبدع فكرة زوتشيه المتمحورة على الإنسان، وجسدها تجسيدا تاما في بناء المجتمع الجديد.

ما فتئ نظام العلاج المجاني الشامل يتطور باستمرار في كوريا من قبل الزعيمين العظيمين كيم إيل سونغ وكيم جونغ إيل اللذين لم يذخرا أي شيء ولم يعطيا الأسبقية لحساب الربح إذا كان الأمر من أجل الشعب، حتى وإن كان أشبه بصيد العصفور الدوري بالمدفع وبناء السدود بالذهب، ويكتمل هذا النظام حاليا نحو مرحلة أعلى

برعاية القائد الأعلى المحترم كيم جونغ وون.

بفضل هذا النظام، يتمتع الشعب الكوري بكل الظروف الطبية المتكاملة من طرف الدولة دون أي مقابل. تتحمل الدولة كل أجر الفحص والعلاج لجميع الناس مثل التشخيص والفحص الاختباري والأدوية ومعالجة المرضى الداخليين، ومصروفات الاستجمام والنقاهة ونفقات السفر إلى المصحات والعودة منها ونفقات الخدمات الطبية الوقائية مثل تفتيش الصحة والاستشارة الطبية واللقاح الوقائي، وتوفر لهم حتى الأطراف الصناعية دون أي مقابل.

حقا إن نظام العلاج المجاني في كوريا تجسيد رائع للنظرة والموقف اللذين يتخذان مصلحة الإنسان أساسا لهما.

هكذا، لا بد من اتخاذ مصلحة الإنسان وحدها معيارا لتقييم القيمة.

والشيء الهام الآخر للنظر إلى العالم انطلاقا من مصلحة الإنسان هو وجوب توجيه كل سياق نشاطات الإنسان إلى تحقيق تطلعاته ومطالبه المستقلة.

هذا يعني أن حماية مصلحة الإنسان تماما يجب أن تكون مبدأ في كل مناسبات الأفعال، مثل وضع الهدف وتحديد المواضع واتخاذ الوسائل والطرق وتقييم النتائج.

مثلا، إذا كان هدف حياة الإنسان هو مجرد العيش في بحبوحة بمفرده على أطيب الأطعمة، بغض النظر عن حياة الآخرين، فما هي نتائج ذلك؟ لن ينوبه سوى الوفاء بالطلب الجسدي الحيواني.

تذكروا زوجي كوري، العالمين المشهورين. كان هدف نشاطاتهما البحثية هو الإسهام في زيادة رخاء البشرية فقط، لا سعيهما إلى الرفاهة والملذات الشخصية. لذا فقد اكتشفا البولونيوم والراديوم، وتعرفا على تقانة فصلهما بعد استقصائهما المضني. لكنهما لم يسعيا لكسب المال بالاستفادة من ذلك، بل إنهما أعلنا منجزاتهما البحثية من أجل البشرية جمعاء.

تطور البلاد والأمة يجب أن يتحقق ويتم تقديره على أساس مبدأ حماية مصلحة الإنسان تماما.
هذا هو بالذات النظرة والموقف من العالم انطلاقا من مصلحة الإنسان.

٣) السعادة لا تأتي تلقائيا

يتمنى الإنسان كائنا من كان أن يتمتع بالسعادة ويريد أن تتحقق مثله العليا في عمله وحياته.
لكن موقف الناس وسلوكهم لتحقيق تلك السعادة يختلفان من شخص لآخر.
نرى أحيانا من يريد الحظ السعيد يحالفه في الحياة ويسعى للحصول على ثمار طيبة دون بذل الجهود، ولكن بتلك الطريقة، لا يمكن صنع مصيره كما ينبغي.
لا تأتي السعادة تلقائيا. لا يمكن للمرء أن يجد سعادة، ولا يصنع مصيره بنجاح مكتفيا بذلك الموقف والسلوك للانتظار جالسا بعد عقد الأمل على الصدفة.
إذن، أي موقف وسلوك يجب أن يتخذهما الإنسان لإيجاد سعادته وصنع مصيره بنجاح؟
تعطي فكرة زوتشيه إيضاحا صائبا بهذا الخصوص أيضا.
قال القائد العظيم كيم جونغ إيل ما يلي:
"إن النظر إلى العالم مع اتخاذ الإنسان محورا له يعني النظر إلى تغيرات العالم وتطوراته باتخاذ نشاطات الإنسان، مغير العالم، أساسا لها."
النظر إلى تغيرات العالم وتطوراته باتخاذ نشاطات الإنسان أساسا

لها يعني اعتبار نشاطات الإنسان المبادرة والإيجابية كأساس في إدراك العالم وتحويله، والاعتماد عليها.

بمجرد هذا الكلام، ربما لا يفهم القراء هذا الموضوع جيدا، فمن الضروري التطرق إليه بالتفصيل.

تجري حركة العالم المحيط بالإنسان وتغيراته تلقائيا بموجب قوانينها الذاتية، وليس هناك أي هدف من الأهداف. إن حركة العالم وتغيراته العشوائية قد توفر بيئة الحياة الصالحة للناس أو تعطي تأثيرات سيئة لهم. يتعذر على العالم أن يتغير تلقائيا لصالح الإنسان، ولا يمكن أن يتحقق مطلب الإنسان ومصلحته في أي وقت من الأوقات بمجرد انتظاره تغير العالم وتطوره جالسا بلا حراك. يستطيع الإنسان، بنشاطاته الذاتية فقط، أن يغير العالم المحيط به بما يتلاءم مع تطلعاته ومطالبه، عن طريق كبح التأثيرات السيئة للعالم المادي، وإفساح الطريق لتفعيل الظروف الصالحة.

وفي سياق تحويل العالم من جهة أخرى، تستخدم مختلف الوسائل المادية والتقنية، ويتأثر هذا السياق بالظروف السياسية والاقتصادية والثقافية في المجتمع. إن الوسائل المادية والتقنية بدءا بأدوات العمل والآلات والتجهيزات ووسائل الدعاية ووسائل العنف، ومختلف الظروف الاجتماعية لها دور كبير جدا.

ولكن بمجرد وجود الوسائل المادية والتقنية، لا تتحول الطبيعة والمجتمع تلقائيا، وكيفية إظهار قدرات هذه الوسائل وقف على دور الإنسان. في الحقيقة إن البيئة الاجتماعية الجيدة صالحة لتحويل العالم المحيط بالإنسان، ولكن مهما كانت حسنة، لا تأتي بالفوائد الكبيرة، ما لم يقبل الإنسان على ذلك بهمة ونشاط.

على دور الإنسان تتوقف جميع الأشياء فلا بد من إيلاء الأهمية لدور الإنسان نفسه أكثر من الظروف الموضوعية والوسائل المادية والتقنية، وحل المسائل الناشئة عن طريق إعلاء دوره.

هكذا، يستطيع الإنسان أن يخلق سعادة إلا عندما يقف موقفا مبادرا وإيجابيا لتحقيق مثل حياته العليا وهدفها ببذل جهوده الديناميكية.

خلاصة القول إن اتخاذ المرء موقفا لتحويل العالم المحيط به لصالحه على نحو مبادر وإيجابي، بدلا من عقد الآمال على تأثيرات هذا العالم العرضية أو ظروفها الموضوعية هو النظرة والموقف من تغير العالم وتطوره من زاوية نشاطات الإنسان.

إذن، ما هي السبل المفصلة بهذا الصدد؟

بادئ ذي بدء، من المطلوب اتخاذ إعداد الإنسان نفسه ليغدو كائنا قويا كأول عملية من كل الأعمال.

لنأخذ حالة كوريا مثلا.

حين تحررت كوريا لتوها من الحكم الاستعماري للإمبرياليين اليابانيين في الأربعينات من القرن العشرين، كان وضع التعليم في هذا البلد متخلفا لدرجة عد خريجي الكليات بالأصابع.

طرح الزعيم العظيم كيم إيل سونغ مسألة الأقلام كأحد جداول الدورة الأولى للجنة الشعب المؤقتة لشمالي كوريا، التي أقيمت توا بعد التحرير، وعنى بحل هذه المسألة. كما أنه حرص على إقامة جامعة، على الرغم من أن الدولة كانت تعاني نقصا شديدا في الأموال في بداية بنائها. وفي أثناء الحرب التي كانت تقرر مصير البلاد، اتخذ إجراءات غير مسبوقة في التاريخ لسحب الطلاب الجامعيين الذين يقاتلون في الجبهة، لكي يواصلوا الدراسة.

في الفترة اللاحقة أيضا، حرص الزعيمان العظيمان كيم إيل سونغ وكيم جونغ إيل على إعطاء الأولوية للتعليم دائما، وتوجيه الجهود الكبيرة إليه.

ففي عام ٢٠١٢، تم في كوريا إقرار القانون الجديد الخاص بتطبيق نظام التعليم الإلزامي العام لاثنتي عشرة سنة، وتسارع العمل الرامي إلى تحقيقه على قدم وساق.

هذا يدل على أن متطلبات فكرة زوتشيه القاضية باتخاذ إعداد الإنسان ليصير أقوى كائن كأول عملية من كل الأعمال، لا تني تتجسد تجسدا رائعا دون تغير في أوجه نشاط الحزب والدولة برعاية القائد الأعلى المحترم كيم جونغ وون.

يوجد في كوريا اليوم جيش كبير من المثقفين الذين ينوف عددهم على الملايين، وهم يدفعون قدما تطور البلاد بقوة.

كل نشاطات الإنسان بما هو الصاحب والعامل الحاسم في إدراك العالم وتحويله تتوقف على مدى استعداده. بغير استعداد الإنسان نفسه، لا يمكن لأي عمل أن يجري كما ينبغي. فلا بد من وضع تربية الإنسان كأقوى كائن في موضع العملية الأولى قبل كل الأعمال المعروضة في بناء المجتمع الجديد المستقل.

ليس هذا فحسب، بل من المهم حل المسائل الناشئة في بناء هذا المجتمع بإعلاء دور الناس الخلاق.

يعمل في نشاطات صنع مصير البلاد والأمة، شأنها شأن كل الحركات الاجتماعية، العاملان، أي العامل الذاتي والعامل الموضوعي، وبعبارة أخرى، دور الناس في بلد معني ودور العامل الموضوعي مثل الظروف الاقتصادية والجغرافية.

على أيهما نعتمد في حل المسائل المطروحة؟

في أخذ جواب عن هذا السؤال أيضا، تكون نجاحات تطور العلوم والتكنولوجيا في كوريا جديرة بالالتفات إليها. بالنسبة للظروف المادية، ينقص العلماء والتقنيين الكوريين كل شيء ويعانون من الصعوبات، لكنهم وضعوا العلوم والتكنولوجيا للبلاد على مستوى رائد ببذل الجهود المضنية والدؤوبة، تحدوهم الروح الوطنية اللاهبة للإسهام في إغناء الوطن وتقويته وازدهاره.

تقفز كوريا اليوم إلى دولة اشتراكية قوية، بفضل إعلاء حماسة جماهير الشعب وقدرتها الخلاقة إلى أبعد الحدود.

بالطبع إن حل المسائل المعروضة بإعلاء دور الإنسان نفسه لا يعني إهمال الظروف الموضوعية والمادية إطلاقا.

كما سبق أعلاه، تؤدي الظروف المادية دورا كبيرا ولا يمكن إهمال تأثيرها. وبخاصة، إذا كانت الظروف المادية جيدة لكان ذلك أصلح للأمر. ولكن لا يجوز اللجوء إليها كليا، إذ لا تجدي الظروف الموضوعية أي نفع، مهما كانت مؤاتية، في حالة عدم إعلاء دور الإنسان نفسه.

بين دور الإنسان وتأثير الظروف المادية الموضوعية، لا بد من اعتبار دور الإنسان كأساس.

عندئذ فقط، يمكن شق الطريق إلى الحياة الحقيقية وإيجاد السعادة.

تفسير مبادئ فكرة زوتشيه ـ ١

نظرة فكرة زوتشيه إلى العالم

تأليف: كيم سونغ كواون

تحرير: كيم يونغ سون

ترجمة: كيم بونغ نام

ناشر: دار النشر باللغات الأجنبية،

جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية

إصدار: تموز/ يوليو ١٠٨ زوتشيه (٢٠١٩)

رقم: ١٩٨٢١١١

E-mail:flph@star-co.net.kp

http://www.korean-books.com.kp

ISBN 978-9946-0-1872-0

جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية

١٠٨ زوتشيه (٢٠١٩)